الطبعة الثانية



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

كيف نقرأ الآخر؟



كيف نقرأ الآخر؟


بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نقرأ الآخر؟

تأليف
حسن موسى الصفار



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

ISBN 9953-29-817-3

الطبعة الأولى
1425 هـ - 2004 م



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب: 5574-13 - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

الترجمة: مركز التعريب والبرمجة، بيروت - هاتف 811373 (9611)
التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

المحتويات

مقدمة.......... 9

كيف نقرأ الآخر؟ 17

التعارف قاعدة أساس.......... 21

من سمات التقدم 25

خمول وتجاهل.......... 29

الآخر الجوّاني 33

القراءة الصحيحة 37

القراءة المباشرة.......... 37

الموضوعية.......... 39

خطأ التعميم والتنميط.......... 42

بين الصيرورة والاستصحاب.......... 43

الاستيعاب 44

عوامل مساعدة للقراءة الصحيحة.......... 45

حوار ساخن من أجل قراءة أفضل 47

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(سورة الحجرات آية 13)

الحمد لله رب العالمين. اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

مُقـــدِّمـــة

الجهل بالآخر والقراءة الخاطئة له هي نتـاج خلـل اجتمـاعي ثقافي.

فالمجتمع السويّ تعبّر فيه كل الأطراف عن نفسـها، وتظهـر آراءها ومواقفها بصراحة ووضوح، حين تتوفر الحريـة للجميـع، وتتساوى فرص التعبير عن الذات، فتتعرف الأطراف على بعضـها بشكل مباشر دون وسائط وحواجز.

أما إذا سادت المجتمع أجواء غير عادلة، وعانت بعض أطرافه من التهميش والتمييز، فستجد نفسها مضطرة إلى الانكفاء والانطواء، مما يفسح المجال لتشويه صورتها من قبل الأطراف ذات المصـلحة في تغييبها وتهميشها.

وعلى الصعيد الثقافي فان الثقافة السويّة تدفع نحو الانفتاح على الآخر، والمعرفة الموضوعية له، والتفاعـل معـه أخـذاً وعطـاءً، واحترام خصوصياته.

بينما ترفض التوجهات الثقافية التعصبية الاعتـراف بـالآخر، وتحظر التواصل معه، والانفتاح عليه، وتعمم عنه صـورة نمطيـة مشوهة.

ولأن معظم مجتمعاتنا تعاني من هذا الخلل الاجتماعي الثقـافي فإنها تعيش أزمة في المعرفة المتبادلة بين الأجزاء المكونة لوجودها الاجتماعي والوطني.

فقد تجد من يضمهم وطن واحد، أو تجمعهم لغـة واحـدة، أو

ينتمون إلى دين واحد، إذ يتنوعون في توجهاتهم ضمن الإطار المشترك، يعيشون حالة من التباعد والجهل ببعضهم بعضا، فترتسم عند كل طرف صورة غير صحيحة عن الطرف الآخر.

إن الجهل بالآخر والخطأ في قراءته يشكل ظلماً للذات والآخر، حيث يحرم الإنسان نفسه من معرفة الحقيقة ويضللها عن إدراك الواقع، مما يمنعه من التفاعل الإيجابي مع الآخرين.

كما أن ذلك ظلم للآخر بإساءة الظن فيه، وبخسه حقه، وقد يؤسس للحيف والعدوان عليه.

وعلى المستوى الاجتماعي والوطني فإن جهل أطراف المجتمع ببعضها، يؤدي إلى انعدام قدرتها على التعاون والانسجام، ويهدد وحدة المجتمع وتماسكه، ويفتح ثغرة في جدار أمن الوطن واستقراره.

إن التعرف على الآخر الداخلي لم يعد مجرد مسألة ثقافية فكرية، بل أصبح قضية اجتماعية وطنية، تتأثر بها وحدة المجتمع، وترتبط بالاستقرار والأمن الوطني.

لذلك تهتم المجتمعات المتقدمة بوضع برامج وسياسات لاستيعاب كل الشرائح والوجودات التي تشاركها العيش في رحاب كياناتها الوطنية، وإن كانت حديثة الانضمام والتشكل، كالجاليات الوافدة، والمهاجرين واللاجئين، وذلك بالاعتراف بخصوصياتهم، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن ذاتهم، وتمكينهم من ممارسة حقوقهم المشروعة، ضمن إطار المواطنة، وقوانين اللجوء والإقامة.

يتحدث تقرير صحفي حديث نشرته جريدة الحياة بتاريخ 3 مايو 2004م عن أوضاع المسلمين في السويد تحت عنوان (برنامج ديني مسيحي في إذاعة سويدية يحتفل بعيد المولد النبوي الشريف) بما يلي:

«فوجئ المستمعون عند السادسة إلا ربعاً صباحاً بصوت الشابة ليلى عبده (22 عاماً)، السويدية من أصل أريتري، عبر أثير القناة الأولى في الإذاعة السويدية شبه الرسمية، وهي تقرأ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾[1]، مذكرة باحتفال مسلمي العالم بالمولد النبوي الشريف.

إنها المرة الأولى منذ 74 عاماً التي تخالف فيها القناة الأولى للإذاعة السويدية روتينها الصباحي (صلوات الصباح) المتعلق بالديانة المسيحية وتكسر القاعدة، متيحة لشابة مسلمة أن تقرأ القرآن وتتحدث عن سيرة الرسول ﷺ لمدة ثماني دقائق على الهواء. تقول ليلى التي كانت في الخامسة عندما هاجرت مع أهلها من أريتريا إلى السويد إن (عامة الناس لا يعرفون المعنى الحقيقي للقرآن. أنا أريد أن أوصل ما قاله الرسول حول كيفية تعامل الناس مع بعضهم بعضاً، إذ أن المواضيع المتعلقة بالأخلاق والمبادئ شبه مختفية في مجتمعاتنا). ليلى المسلمة هي مثال للفرد الملتزم دينياً وفي الوقت نفسه تمكنت من الاندماج في المجتمع السويدي، فهي تعمل سكرتيرة في وزارة الخارجية السويدية لكنها حريصة على أن تصلي خمس مرات في اليوم، إذ أن (الصلاة هي وقت يختلي الإنسان بنفسه ويراجع أعماله، وهذا ما يفعله المسلم).

من الواضح أن هناك رغبة سياسية واجتماعية لإظهار الوجه الإيجابي للجالية المسلمة في السويد، فبعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 سلطت كل الأضواء على الجالية المسلمة وعلى أعمال الفرد المسلم في المجتمع السويدي. وحصلت أحداث عدة تذكر بالعنف

---

(1) سورة الحجرات الآية 12.

والإرهاب، منها اعتقال أشخاص يعتقد بأن لهم علاقة بتفجيرات مدريد وتفجيرات الدار البيضاء، لذا حرص رئيس وزراء السويد يوران برشون منذ مدة على زيارة المسجد الكبير في العاصمة ستوكهولم وأطلع من القيمين على المسجد على أوضاع المسلمين، وحرص على التركيز أمام الصحافة على أن (الدين الإسلامي هو ثاني دين في السويد ويجب أن نتعايش مع بعضنا بعضا). وهناك صحف يومية واسعة الانتشار تعمل لإبراز المضمون السلمي الحقيقي للدين الإسلامي من خلال مواضيع اجتماعية وحوارية مختلفة. لكن خطوة الراديو السويدي لها أبعاد اجتماعية إيجابية قد تكون أهم من زيارة برشون للمسجد، فالمعروف إن برنامج (صلوات الصباح) في القناة الأولى مخصص للديانة المسيحية فقط».

وقبل سنوات أعلن مجلس إدارة المدارس العامة في أوكلاند بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية اعترافه باللهجة العامية التي تستخدم في أحياء السود لغة قائمة بحد ذاتها.

«ففي تصويت تم بالإجماع دعا مجلس إدارة هذه المدارس كل المعلمين إلى تعلم (إنجليزية السود) (بلاك إنغليش).

وهي المرة الأولى في الولايات المتحدة التي يتم فيها رسمياً الاعتراف بلهجة عامية تتميز بشذوذ عن قواعد اللغة. ويشكل التلاميذ السود 53 في المائة من الطلاب الـ 52 ألفاً في المدارس العامة في أوكلاند. وتتميز (إنجليزية السود) المعروفة أيضاً باسم (إيبونيكس) باستخدام أفعال في طريقة خاطئة وازدواجية النفي في الجملة ذاتها.

وأوضحت كاري سيكريت المعلمة في مدرسة بريسكوت أوكلاند أنه قبل اتخاذ هذا القرار كان الأستاذ يطلب من التلميذ الذي يتكلم بلغة (إيبونيكس) أن يترجم ما يقوله إلى الإنجليزية العادية.

وأرجع المجلس أصل هذه اللغة إلى اللغة التي كان يستخدمها العبيد الذين اقتيدوا إلى الولايات المتحدة من النيجر والكونغو وهي رائجة خصوصاً في أحياء السود الواقعة في وسط المدن الأمريكية.

وأعرب بعض المعلمين عن معارضتهم لهذا الإجراء لأنه في نظرهم سيزيد من التمييز الذي يتعرض له التلاميذ السود. ويرى المعارضون أيضاً أن هذا القرار يشكل اعترافاً بفشل النظام التربوي غير القادر في رأيهم على تلقين اللغة الإنكليزية إلى التلاميذ.

في المقابل اعتبر البعض أن هذا الإجراء سيؤدي إلى احترام هذه اللغة التي غالباً ما يسخر منها التلاميذ البيض»[1].

ويأتي ضمن هذا السياق ما كشفت عنه أخيراً سلطة الادعاء العام الملكية في بريطانيا بتاريخ 2004/8/1م عن عزمها على إجراء دورات تدريبية عن الإسلام منتظمة للمحامين الذين يشتغلون على قضايا لها جانب ديني، ورأت أن الهدف هو إعداد المحامين وموظفين السلطة نفسها أيضاً للتعامل بطريقة مناسبة مع المسلمين من أصحاب القضايا. وقالت إن الدورة تستغرق خمسة أيام يطلع خلالها المشارك من المحامين على المبادئ الأساسية للدين وأشكال ممارستها في بريطانيا. ونقل عن (شيمص تايلور) وهو متحدث باسم سلطة الادعاء العام قوله: إن الدورة ستساعد المتدربين على اكتساب فهم أشد تفصيلاً للدين الإسلامي، مما سيجعلهم قادرين على تفهم سياق العمل والقضايا التي يتعاطون معها بشكل أفضل[2].

هكذا تهتم المجتمعات الأخرى باحتضان كل أجزائها وشرائحها

(1) جريدة الحياة: السبت 11 شعبان 1417هـ، العدد 12353.

(2) الشرق الأوسط، جريدة يومية، لندن 2004/8/2م.

حتى المستجدة منها، بينما تفشل بعض مجتمعاتنا في الوصـــول إلـــى مستوى التعايش والاحترام المتبادل بين أطرافها المتساوية في العراقة والانتماء الــوطني، بســبب الاخــتلاف فــي بعــض الخصــائص والتوجهات.

إن مجتمعاتنا بحاجة إلى سياسة جديــدة فــي نمــط علاقاتهــا الداخلية، فإلغاء الآخر وتهميشه وانتقاص حقوقه مرفــوض شــرعاً وعقلاً، وما يطرح له من تبريرات وأدلة هي مجرد تفســيرات وآراء أنتجتها بيئة سياسية وثقافية غير سويّة لا تثبت أمام البحــث والنقــد العلمي، على ضوء محكمات القرآن الكريم وثوابت الســنة النبويــة، ومعالم الشريعة التي توجب العدل، وترفض الظلم، وتنهى عن بخس الحقوق، وتحمي حرية العقيدة وتدعو إلى التعارف والتعاون بين بني البشر.

كما أن واقع العالم اليوم، بمؤسساته الدولية، وشــعاراته حــول حقوق الإنسان، وسياسات العولمة والانفتــاح، لا مكــان فيــه لهــذه التوجهات الإقصائية التعصبية.

وأوطاننا التي تواجه أقسى التحديات تحتاج إلى تلاحــم أبنائهــا وتماسك شعوبها بتنوعاتهم المختلفة.

وأول خطوة على هذا الطريق تكريس نهج الانفتاح والتعــارف داخل المجتمع، بأن يقرأ كل طرف ســائر الأطــراف بموضــوعية وإنصاف وأن يتاح لكل طرف أن يعبّر عن ذاته وتوجهاته.

ويجب أن تسهم مناهج التعليم ووسائل الإعلام وجهات التثقيــف في إنجاز هذه الخطوة التي تأخرت كثيراً، حتى لا نــورّث لأبنائنــا وأجيالنا القادمة مآسي تخلفنا، وتركة صراعاتنا وخلافاتنا.

وبين يدي القارئ الكريم جهد متواضع للإسهام في هذا المسعى النبيل.

فقد تلقيت دعوة كريمة من الدكتور راشد المبارك للتحدث في منتداه الثقافي الأسبوعي (الأحدية) في الرياض، بتاريخ (20 شوال 1424هـ - 14 ديسمبر 2003م) واخترت لحديثي موضوع قراءة الآخر، (كيف نقرأ الآخر؟) وجرى حوار طيب بعد إلقاء الموضوع، مع نخبة من المثقفين الذين تفضلوا بالحضور والمشاركة.

ورأيت أن أقدم هذا البحث للطباعة والنشر، وأضفت له حواراً أجرته معي مجلة (الجسور) وأثار صدى واسعاً وتفاعلاً كبيراً في أرجاء الوطن، باعتباره بادرة غير مسبوقة في تاريخ الصحافة الوطنية، وأجواء الحالة الدينية. كما أنه يشكل نموذجاً للمكاشفة والتعارف المباشر من أجل فهم أفضل، وإزالة الالتباس وسوء الفهم بين أطراف المجتمع.

وإني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفق الواعين الغيورين على مصلحة الدين والوطن لبذل المزيد من الجهود من أجل نشر ثقافة التسامح والاعتدال، والدعوة إلى التقارب والوحدة.

مع تقديم خالص الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل الدكتور راشد المبارك على دعوته الكريمة، التي كانت السبب في إعداد هذا البحث، كما أشكر الاخوة الكرام في إدارة مجلة (الجسور) لمبادرتهم الرائدة وإتاحتهم الفرصة لي للتخاطب مع جمهور قرائهم الكريم.

وفق الله الجميع للخير والصلاح والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

1425/6/16هـ - 2004/8/2م

كيف نقرأ الآخر؟

نص المحاضرة التـــي ألقاهـــا ســـماحة الشـــيخ حسن الصفار في منتدى الدكتور راشد المبـــارك بالريـــاض مســـاء يـــوم الأحـــد 20 شـــوال 1424هـ - 14 ديسمبر 2003م

مدخل

لسنا مخيرين في وجود الآخر فهو حتمية اقتضــتها حكمــة الله تعالى في الخلق لتكون الحياة أكثر ثراءً، وليشحذ التنافس همم أبنــاء البشر، ويفجر طاقاتهم. **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِــدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾**(1).

والآخر هو المختلف عنا في أي جانب من الجوانب التي نهــتم بها، فقد يكون آخر من حيث انتمائه الاجتماعي، لعرق أو قوميــة أو قبيلة.

وقد تكون آخريته لجهة انتسابه الديني والثقافي، لمبدأ أو مذهب أو مدرسة فكرية.

كما يكون اختلاف التوجه السياسي أو الــنهج الســلوكي ســبباً لتشكيل الآخرية.

وهكذا يتحدد الآخر في مختلــف دوائــر اهتمامــات الإنســان ومجالات تركيزه.

والآخر قد يكون جزءاً من بيتنا العائلي، وأســرتنا الصــغيرة، حيث قد يختلف الدين، أو المذهب، أو المسلك، بين الزوجين، وبــين الوالدين والأولاد، وفيما بين الأخوة الأشقاء.

---

(1) سورة هود آية 118.

وقد يكون الآخر جاراً لنا في السكن، أو زميلاً لنا في العمل.

وفي إطار أوسع قد يكون الآخر شريكاً لنا في الوطن، أو الانتماء الحضاري.

وعلى المستوى الدولي: هناك جوار جغرافي، وتشابك في المصالح، وخاصة في عالم اليوم، الذي أصبح قرية كونية واحدة.

مما يعني أن الآخر جزء من حياتنا، كأفراد، وشعوب ودول، نتداخل معه، ونتأثر به، ونؤثر فيه، إنه لا يمكن إلغاء الآخر، ولا الانفصال عنه كلياً.

تلك هي الحقيقة التي لا مراء فيها، ولا يمكن تجاهلها.

بيد أن الامتحان الحقيقي أمام الإنسان، هو مدى قدرته على تنظيم علاقته مع الآخر، أخذاً وعطاءً، حتى لا يصبح التمايز سبباً للجفاء والعداء، بل دافع للتنافس الإيجابي، والتعاون، والتكامل، والإثراء.

التعارف قاعدة أساس

إن الخطوة الأولى، والقاعدة الأساس، لتنظيم علاقة مع الآخر هي التعارف.

بأن يتعرف كل من الطرفين على الآخر، وخاصة فيما يرتبط بزاوية التغاير والتمايز بينهما.

ذلك أن الجهل وسوء الفهم غالباً ما يؤدي إلى التباعد حذراً، أو إلى النزاع والخصومة عداءً.

يقول تعالى: ﴿**فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[1].

وورد عن الإمام علي عليه السلام: «**الناس أعداء ما جهلوا**»[2]. وقال عليه السلام: «**من جهل شيئاً عابه**»[3].

إن المعرفة بالآخر تكشف لك نقاط قوته ومكامن ضعفه،

---

(1) سورة الحجرات آية 6.

(2) الشريف الرضي: محمد بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة، حكم 172، الطبعة الأولى 1967م، تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(3) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج75 ص93، الطبعة الثانية 1983م، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ، بيروت.

فتمكنك من الاستفادة منه وإفادته، وتبرز لك مناطق الاشتراك ومواقع الاختلاف، بما يؤسس للتعاون وتنمية العلاقات.

لذلك يؤكد القرآن الكريم على محورية التعارف بين فئات البشر، باعتباره قاعدة أساس للعلاقات فيما بينهم، يقول تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[1].

كما أن أول أمر بدأ به الوحي، حين نزل للمرة الأولى على رسول الله ﷺ ، هو الأمر بالقراءة، حيث اتفق المسلمون على أن أول القرآن هو قوله تعالى: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾**[2].

والقراءة المأمور بها ليست مجرد عملية تتبع الكلمات والنطق بها، أو قراءتها بالنظر، بل هي أعمق من ذلك، إنها تعني عملية التفكير والفهم، وهو المعنى الذي أصبح متداولاً في الأوساط الفكرية، كما لخصت الباحثة (سيزا قاسم – 1995م) هذا المفهوم للقراءة بقولها: «إنها خبرة محددة في إدراك شيء ملموس في العالم الخارجي، ومحاولة التعرف على مكوناته، وفهم هذه المكونات، وظيفتها ومعناها»[3].

ولم يحدد الوحي لفعل ﴿اقْرَأْ﴾ مفعولاً، مما يؤيد أن المقصود التوجيه لذات الممارسة والفعل، وأول ما يحتك به الإنسان ويحتاج لقراءته وفهمه، هو الوجود البشري الذي ينتسب إليه، فعليه أن

---

(1) سورة الحجرات آية 13.

(2) سورة العلق آية 1 – 3.

(3) الحاجي: الدكتور علي بن عبدالله، واقع القراءة الحرة لدى الشباب، ص96، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض 2003م.

يتأمل التمايزات الهامة بين فئات هذا الخلق، ليرى من خلال ذلك عظمة الله تعالى وحكمته، ولتنظيم حياته بإرساء علاقات سليمة مع من حوله.

وقراءة التمايزات بين أبناء البشر هو ما يشير إليه قوله تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾**[1].

(1) سورة الروم آية 22.

من سمات التقدم

تحرص المجتمعات المتقدمة، ممثلة بمراكز الدراسات والأبحاث فيها، الرسمية والأهلية، وعبر المبادرات الفردية الطموحة، على تحصيل أكبر قدر من المعلومات عن البلدان والشعوب الأخرى، لإثراء المعرفة، ولخدمة المصالح والأغراض.

وتمثل حركة الاستشراق التي قام بها الغرب أوسع نموذج منظم في هذا السياق، حيث اهتمت بدراسة الثقافات الشرقية (الآسيوية غالباً)، وأوضاع المجتمعات الإسلامية في مختلف المجالات.

وكانت بدايتها في القرن الثالث عشر الميلادي، بترجمة بعض الكتب الإسلامية إلى اللغات الأوربية. وأنشأت في القرن الثامن عشر الميلادي، كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوربا. كما أنشأت معاهد ومراكز أبحاث في عدد من البلدان الشرقية، وزحف إلى الشرق عدد من العلماء والباحثين الغربيين، لدراسة الأوضاع والمجتمعات ميدانياً، وأصبحوا يعرفون بالمستشرقين، وعقدوا أول مؤتمر لهم في باريس سنة 1873م، وتوالت بعده المؤتمرات إلى اليوم.

وصدرت عدة مجلات متخصصة بالأبحاث الشرقية، مثل مجلة (العالم الإسلامي)، والمجلة الآسيوية لجمعية المستشرقين الفرنسيين، ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية لجمعية المستشرقين الإنجليز، ومجلة

الجمعية الشرقية الأمريكية لجمعية المستشرقين الأمريكيين.

وصدرت دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات.

وقام جمع من المستشرقين بوضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، في ثمانية مجلدات، شمل الكتب الستة المشهورة، إضافة إلى مسند الدارمي، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وموطأ الإمام مالك. كما وضع الدكتور أ.ي. فينسنك معجماً آخر بعنوان (مفتاح كنوز السنة) للكشف عن الأحاديث النبوية في كتب أربعة عشر إماماً.

وأول معجم مفهرس للقرآن الكريم وضعه المستشرق (فلوغل)، وسماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)، وهو العمل الإحصائي الأبجدي الذي اعتمد عليه محمد فؤاد عبد الباقي في وضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

ولسنا الآن بصدد تقويم أغراض حركة الاستشراق، ولا أعمال المستشرقين، فمن الواضح أن كثيراً منهم لم يكن حيادياً ولا منصفاً، وكان يخدم أغراضاً استعمارية، لكن بعضهم اتصف نتاجه بالموضوعية والاعتدال، مثل الإنكليزي (توماس آرنولد ت 1930م)في كتابه (الدعوة إلى الإسلام). و(زيجريدهونكه) في مؤلفها الشهير(شمس العرب تسطع على الغرب)، والهولندي (هادريان ربلاند ت 1718م) في كتابه (الديانة المحمدية) الذي حرمت الكنيسة تداوله آنذاك.

لسنا بصدد التقويم، ولكننا نشير إلى مدى اهتمام الغرب كمجتمع متقدم جادّ في خدمة مصالحه، بالتعرف على الآخر.

وقد ذكر الدكتور إدوارد سعيد في كتابه الهام عن (الاستشراق): إنه بين 1800م إلى 1950م صدر في الغرب عن الشرق الأوسط 60 ألف مؤلفاً.

وأودّ الإشارة هنا إلى نموذج يرتبط بمنطقتنا الخليجية، هو كتاب (دليل الخليج)، الذي وضعه البريطانيون ليكون مرشداً لهم في الخليج، وقد أنجزه الباحث (جي. ج. لوريمر) يعاونه مستر (ج.س.هـ. جابرييل) وقد بدأ إعداد الكتاب سنة 1904م، ونشر باللغة الإنكليزية في أربعة مجلدات ضخمة، من قبل حكومة الهند في كلكتا سنة 1915م. وكان يعتبر وثيقة سرية لم يطبع منه إلا حوالي مئة نسخة حتى عام 1955م.

وترجم للعربية بقسميه التاريخي والجغرافي، في أربعة عشر مجلداً، كل قسم في سبعة مجلدات، قامت حكومة قطر بترجمته وطبعه. قال عنه أحد الباحثين: «لقد جمع الكتاب فأوعى لم يترك صغيرة في المنطقة ولا كبيرة إلا أحصاها، رسم المنطقة فصورها، وفصل تاريخها تفصيلاً، ووضع كل جزء منها تحت المنظار، مدنها وقراها، قبائلها وقواها، مللها ونحلها، وما فيها من نبات وشجر ومعادن، ورصد أنواءها وأجواءها»[1].

(1) الزيد: خالد سعود: الكويت في دليل الخليج ج1 ص11.

خمول وتجاهل

في مقابل هذه الحركة الاستشراقية النشطة، هناك خمـول فـي الشرق في الاهتمام بمعرفة الغرب. وأكتفي هنا بشاهد جديد، تحـدث عنه رئيس الجمعية العربية لعلم الاجتماع، الطاهر لبيب، في مقدمتـه لكتاب (صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه) الذي صدر عـن مركز دراسات الوحدة العربية، والجمعية العربية لعلم الاجتماع، سنة 1999م حاوياً أعمال الندوة الدولية التي عقدتها الجمعية العربية لعلـم الاجتماع، حول (صورة الآخر) عامي 1993م و1996م في تونس.

قال الطاهر لبيب: «بما أن ندوة 1993م ضـمت بـاحثين مـن أقطار عربية، وآخرين من بلدان غربية، فقد يكون مفيداً، قبل عرض أعمالها، لفت الانتباه إلى بعض الظواهر ذات الدلالـة، مـن وجهـة ثقافية مقارنة:

إن أول ما يلاحظ أن الطرح الذي يتحول فيه مركز التركيز على الذات إلى الآخر، لقي بعض العسر في الاستجابة لـه لـدى أغلبية المشاركين من علماء الاجتماع العـرب، إن نـدوة 1993م الدولية قدمت بوضوح كاف الموضوع المتمثل في أن يعرض كل مشارك صورة الآخر في مجتمعه، أو في مجتمع عربي يختـاره. ومع ذلك فإنه في الوقت الذي تقيدت فيه أغلبية المشـاركين مـن غير العرب بالموضوع المطروح، فضلت أغلبية المشاركين مـن العرب تناول صورة العربي لدى الآخر. ويمكن القول: بأن هـذا

الإصرار العربي على متابعة الذات كان من المؤشرات الثقافية البارزة في الندوة.

وبما أن التناول العربي (المعكوس) للموضوع المطروح أخل بتوازن المساهمات وبتجانسها، فإن الجمعية العربية لعلم الاجتماع، اضطرت إلى عقد ندوة عربية في الحمامات/تونس 1996م، وذلك للإجابة عن السؤال الذي أعادت طرحه وألحت في طلب الإجابة عنه: كيف يرى العرب الآخرين؟ ثلاث سنوات إضافية لتقبل الثقافة العربية الإجابة عن السؤال.

نقول الثقافة العربية لأن المسألة - وهذا مفروغ منه - ليست مسألة كفاءة علمية، أو مسألة (انضباط)، وإنما هي أساساً مسألة ثقافة. لقد كان الخروج - أو ما بدا خروجاً - عن موضوع الهوية أمراً صعباً ووضعاً غير معهود»[1].

ويرى برنارد لويس في بحثه (كيف اكتشف الإسلام أوربا): «أن هناك تجاهلاً إسلامياً لأوربا، وعدم اهتمام معرفي بها يقابلهما (حب اطلاع أوربي)، وإذا كان القرن الثامن عشر قد خفف بعض الشيء منهما، فان استعمار القرن التاسع عشر هو الذي فرض على المسلمين معرفتهم بأوربا.

وأشار إلى أن توجه المسيحيين إلى معرفة الإسلام ليس مرده التسامح المسيحي، لأن الإسلام كان أكثر تسامحاً، لكن سيادة الخطاب المركز على الذات عند المسلمين حال دون تطوير معرفة علمية بالغرب»[2].

---

(1) لبيب: الطاهر، صورة الآخر - العربي ناظراً ومنظوراً إليه، ص 19 - 20، الطبعة الأولى 1999م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

(2) المصدر السابق ص197.

ويرى هشام جعيط أنه: «إذا كان الإسلام الكلاسيكي غير مبال تجاه الغرب، فان ذلك لم يكن بسبب نقص في توقه إلى المعرفة، بل لأنه كان يجهله ويتجاهله شعوراً منه بانعدام أية فائدة من وراء ذلك»[1].

وبما أن الترجمة من مظاهر التعرف البارزة، فقد ذكر تقرير التنمية العربية الذي أصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام 2003م، أنه رغم ازدياد عدد الكتب المترجمة في العالم العربي من حوالي 175 عنواناً في السنة، خلال الفترة 1970 - 1975م، إلى ما يقرب من 330 كتاباً، وهو خمس ما تترجمه اليونان مثلاً (10.451.000 نسمة).

ويقدر الإجمالي التراكمي للكتب المترجمة منذ عصر المأمون حتى الآن بحوالي 10000 كتاب، وهو ما يوازي ما تترجمه أسبانيا في عام واحد (39.727.000 نسمة).

ومتوسط الكتب المترجمة لكل مليون من السكان في الوطن العربي، في هذه السنوات الخمس: 4.4 كتاباً، أي أقل من كتاب واحد في السنة لكل مليون من السكان. بينما بلغ 519 كتاباً في المجر، و920 كتاباً في أسبانيا لكل مليون من السكان.

وفي أعقاب كارثة 11 سبتمبر 2001م التي حصلت في أمريكا، تحدثت التقارير عن إقبال شديد لدى الأمريكيين في القراءة عن الإسلام والمسلمين، حيث نفدت جميع الكتب المعروضة في المكتبات عن هذا الموضوع، وأشار أكثر من ناشط إسلامي في أمريكا، إلى كثافة الاهتمام بالتعرف على الإسلام والمسلمين من قبل الأمريكيين، حيث صارت مجاميع منهم تزور المراكز الإسلامية هناك، كما أن

---

(1) المصدر السابق ص201.

عدداً كبيراً من الجامعات والمؤسسات العلمية والأهلية استضافت شخصيات إسلامية للحديث عن الإسلام.

بينما نجد في المقابل تقصيراً هائلاً لدى الأوساط الإسلامية في الاهتمام بدراسة المجتمع الأمريكي والغربي بشكل عام، والاكتفاء بإدانة التوجهات المادية لتلك المجتمعات، والتنديد بمؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين، دون الالتفات إلى نقاط القوة الكبيرة عندهم، في تقدمهم العلمي والتكنولوجي، وفي تنظيم شؤون حياتهم على أساس الديمقراطية وحرية النشاط الفكري والسياسي، وتفاعلهم مع القضايا الإنسانية والاجتماعية التي يقتنعون بها، عبر العمل التطوعي والمؤسسات الأهلية.

لقد طرح أحد المفكرين العرب الدكتور حسن حنفي: ضرورة استحداث حركة معرفية من قبل العرب والمسلمين لدراسة الآخر الغربي، تحت عنوان الاستغراب، كمقابل للاستشراق.

ونشر كتاباً ضخماً قبل حوالي عشر سنوات بعنوان (مقدمة في علم الاستغراب).

وهي قضية هامة تأخرنا كثيراً في الاتجاه لها.

الآخر الجوّاني

اصطلح الكتاب المحدثون على تقسيم الآخر إلى نوعين:

الآخر الخارجي المنتمي إلى حضارة وكيان آخر.

والآخر الداخلي أو الجوّاني وهو المختلف ضمن ذات الإطار الديني أو الوطني، حيث تعددت المدارس الفكرية، والمذاهب، والتوجهات السياسية، ضمن الأمة الإسلامية.

وهنا تكون حساسية الاختلاف أشد لأنه في الدائرة الأقرب، والخطأ في التعاطي مع هذا الآخر خطير جداً، لماله من تأثير على تماسك المجتمع واستقراره.

وبالتالي فإن القراءة الصحيحة لهذا الآخر الداخلي أكثر إلحاحاً وأشد ضرورة.

هنا لا نواجه حالة الخمول التي لاحظناها في الاهتمام بالآخر الخارجي، بل نلاحظ حالة من الاستغراق والانشغال الكبير، بالفوارق والاختلافات بين الفرق والمذاهب.

وقد تأسس علم جديد في وقت مبكر من تاريخ الأمة بعنوان: علم الملل والنحل، والمذاهب والفرق.. كان انعكاساً للنزاعات والخلافات العاصفة التي عاشتها الأمة بين تياراتها الفكرية: وطوائفها الدينية، وكان للمصالح السياسية في ذلك دور محوري.

لقد ألف الحسن بن موسى النوبختي من أعلام القرن الثالث

الهجري كتاباً حول (فرق الشيعة).

كما صنف شيخ الأشاعرة أبو الحسن الأشعري (المتوفى عام 330هـ) كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين).

وكتب ابن حزم الظاهري (المتوفى 456هـ) كتابه (الفِصَل في الملل والأهواء والنحل).

وكذلك ألف أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفى 548هـ) كتابه (الملل والنحل).

وألف الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي السفرائيني (المتوفى 429هـ) كتابه (الفرق بين الفرق).

وغيرها من الكتب المصادر في هذا المجال.

ولكل فرقة كتب في الدفاع عن نفسها، والردّ على الفرق الأخرى. ويمكن القول: إن الاهتمام بالخلافات المذهبية أخذ حيزاً كبيراً من الثقافة الإسلامية في الماضي والحاضر.

لكن القسم الأعظم من هذه الكتابات والطروحات، يتسم بإصدار الأحكام، وتقرير الإدانة للآخر،أكثر مما هو قراءة له.

وبعض الكتب اختار مؤلفوها عناوين قمعية، تلخص منهجيتهم في التعامل مع الآخر مثل:

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (توفي 728هـ).
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيتمي (توفي 973هـ).
- ذكر الفرق الضوال وأصناف الكفر لأبي الحسن العراقي.

- شم العوارض في ذم الروافض لعلي ملا القاري.
- القضاب المشتهر علــى رقــاب ابــن المطهــر لمجــد الــدين الفيروزآبادي.
- الانتصار والردّ على ابن الراوندي الملحد لعبد الــرحيم الخيــاط المعتزلي.
- سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد للشيخ يوسف البحرانــي (توفي 1186هـ).
- صواعق النواصب للسيد محمد مهدي الموسوي.
- الصوارم الماضية لرد الفرقة الهاوية للســيد محمــد القزوينــي الحلي.

القراءة الصحيحة

القراءة الصحيحة فيما بين الأطراف تؤسس للرؤيـــة الســليمة والتعامل الإيجابي، بينما خطأ القراءة ينتج ســوء الفهــم والتفـــاهم، ويؤدي إلى علاقات سلبية.

فكيف ينبغي أن نقرأ الآخر؟

نشير هنا إلى أبرز الملاحظات في شروط القــراءة الصــحيحة للآخر:

القراءة المباشرة

قراءة الآخرين عبر الوسائط لا توفر للقارئ صورة واضـــحة دقيقة، لأن الوسيط قد لا يكون محايداً، فيتأثر نقله بموقفه المنحـــاز، وقد يكون اطلاعه ناقصاً، أو مصادره غير موثوقـــة، أو اســتنتاجاته غير صائبة، إلى ما هنالك من الاحتمالات..

ومادام الطرف الآخر موجوداً، والوصول إليه ميسوراً، وهــو يرفع صوته معبراً عن ذاته وآرائه، فما هو مبرر الإعراض عنـــه، والإصرار على أخذ صورته من الغير.

اللهم إلا أن يكون هناك غرض للإدانة والتشويه.

وتنقل هنا قصة طريفة: أن شخصاً دخل بلـــداً فــرأى جماعــة يشيعّون جنازة، والقاضي في مقدمتهم، لكنـــه رأى المحمــول علـــى

النعش يرفع رأسه بين فترة وأخرى ليقول إنه حـي ولـيس ميتـاً، فتعجب من ذلك وسأل القاضي فأجابه: لقد شهد شهود عدول بموتـه أنكذبهم ونصدقه؟!

إن بعض النقولات عن هذا المذهب أو تلك الطائفة، قد تكـون فرية واتهاماً لا أساس لها ولا مصدر عندهم، لكنها تتداول عليهم لدى الآخرين كمسلمات ثابتة.

ففي شهر رمضان المنصرم 1424هـ سمعت أحـد الإخـوان يحدثني عن الإسماعيلية في نجران: وأن لهـم ممارسـات وأعمـالاً عجيبة، فسألته عن بعضها فقال: إنهم إذا مات الميت منهم، يضربونه ضرباً مبرحاً على يده اليسرى حتى يكسرونها. وذلك حتـى يسـتلم كتابه بيده اليمنى يوم القيامة!!

فهل هذا معقول؟!

وقبل شهور التقيت مع قاض كبير في محكمـة شـرعية، فـي منطقة ذات كثافة شيعية، وضمن اللقاء قال لي على نحو التقرير: إن عندكم رأياً بجواز زواج المرأة متعة ولو كانت متزوجة، ومع أنـي نفيت له ذلك نفياً قاطعاً، حيث لا تجيز أي شريعة سماوية أو وضعية زواج المرأة بزوجين في وقت واحد، إلا أنه أصـر أنـه رأى ذلـك الرأي عن الشيعة في أحد الكتب!!

وهناك فرية يوصم بها الشيعة أنهم يقولون: «خان الأمـين» أي أن جبرائيل خان أو أخطأ بنقل الرسالة إلى النبي محمد ﷺ، وكـان يفترض أن يوصلها للإمام علي عليه السلام، وهذا ما لم يقل به أي شـيعي في الماضي والحاضر.

ومثل ذلك ما ينتشر في بعض أوساط الشيعة: مـن أن السـنة يفرحون يوم عاشوراء بمقتل الإمام الحسين ويتخذونه عيـداً، وهـذا ليس صحيحاً، فلا يوجد مسلم يفرح بما أحزن رسول الله ﷺ.

ويجد الباحث هذه المشكلة سائدة في أكثر الكتابات المتداولة عن العقائد والمذاهب، فالموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، والتي أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي (مقرها المملكة العربية السعودية)، وطبعت عدة طبعات، ونشرت بشكل واسع، حينما تكتب تعريفاً عن الشيعة مليئاً بالتهم والإساءات، تعتمد على الكتابات المناوئة لهم، وتنصح القراء بتلك المراجع التي اعتمدتها، وهي خمسة عشر مصدراً، من بينها كتاب واحد فقط لكاتب شيعي. ويبدوا أنها نفس المنهجية التي اعتمدتها الموسوعة تجاه الفئات الأخرى كالمعتزلة والاباضية والصوفية وغيرهم.

الموضوعية

ونعني بالموضوعية أن تكون القراءة هادفة لمعرفة الآخر كما هو على حقيقته، دون ميل أو انحياز مسبق يجعل بصر القارئ زائغاً.

وكذلك تعني الموضوعية: عدم إساءة التفسير لرأي الآخر وعمله، ما دام يحتمل وجهاً للصحة.

إن البعض يقرأ الآخرين متبرعاً بالتعبير عن نواياهم ومقاصدهم، فيشكك في الصحيح من أعمالهم، والظاهر من معاني أقوالهم، بأن لذلك معان وأهدافاً أخرى.

وقد نهى الله تعالى عن سوء الظن يقول تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾**[1].

وجاء في سنن أبي داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»**[2].

---

(1) سورة الحجرات آية 12.

(2) أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، حديث رقم 4917، الطبعة الأولى 1988م، دار الجنان، بيروت.

وورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «**لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً**»[1].

يقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي:

تجد الغلاة دائماً يسارعون إلى سوء الظن والاتهام لأدنى سبب، فلا يلتمسون المعاذير للآخرين، بل يفتشون عن العيوب، ويتقممون الأخطاء، ليضربوا به الطبل، ويجعلوا من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفراً!!

وإذا كان هناك قول أو فعل يحتمل وجهين: وجه خير وهداية، ووجه شر وغواية، رجحوا احتمال الشر على احتمال الخير، خلافاً لما أثر عن علماء الأمة من أن الأصل: حمل المسلم على الصلاح، والعمل على تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان.

وقد كان بعض السلف يقول: إني لألتمس لأخي المعاذير من عذر إلى سبعين، ثم أقول: لعل له عذراً آخر لا أعرفه!

من خالف هؤلاء في رأي أو سلوك - تبعاً لوجهة نظر عنده - اتهم في دينه بالمعصية أو الابتداع أو احتقار السنة، أو ما شاء لهم سوء الظن.

ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء على العامة، بل يتعدى إلى الخاصة، وخاصة الخاصة، فلا يكاد ينجو فقيه أو داعية أو مفكر إلا مسه شواظ من اتهام هؤلاء.

فإذا أفتى فقيه بفتوى فيها تيسير على خلق الله، ورفع الحرج عنهم، فهو في نظرهم متهاون بالدين.

وإذا عرض داعية الإسلام عرضاً يلائم ذوق العصر، متكلماً

---

(1) الشريف الرضي: محمد بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة، حكم 360، الطبعة الأولى 1967م، تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

بلسان أهل زمانه ليبين لهم، فهو متهم بالهزيمة النفسية أمام الغرب وحضارة الغرب.. وهكذا.

ولم يقف الاتهام عند الأحياء، بل انتقل إلى الأموات الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فلم يدعوا شخصية من الشخصيات المرموقة إلا صوّبوا إليها سهام الاتهام، فهذا ماسوني، وذلك جَهْمِيّ، وآخر معتزلي.

لهذا أرى أن أول ما ينبغي أن نطرحه من طريقنا، لكي نقرب الأمة بعضها من بعض، هو: سوء الظن، وأن نغلب فضيلة حسن الظن فيما بيننا، كما هو شأن أهل الإيمان.

حكيت لأحد المتشددين مواقف لبعض الشيعة، رأيت فيها الصدق والاستقامة والاعتدال والإخلاص، فما كان من هذا الأخ إلا أنه قال: هذا فعله تقيّة! فالتقية جزء من تكوين الشيعة الديني.

وذكرت لمتشدد آخر: أن العلماء في إيران عندما زرتهم قدموني لأصلي بهم إماماً، وأنا في دارهم، فقال: هذا من باب التقيّة! قلت: وما الداعي إلى التقيّة، ولست ممن يرجى ويخشى، ولم أطلب هذا ولم أتوقعه؟ والتقيّة إنما يقوم بها الضعيف، وبعد نجاح الثورة الإسلامية، وإقامة الجمهورية الإسلامية في إيران أصبح القوم أقوياء.

إن حمل كل عمل طيب، أو تصرف صالح من الشيعة، على أنه من باب (التقية) هو ضرب من سوء الظن، لا مبرر له ولا داعي إليه[1].

---

(1) القرضاوي: الدكتور يوسف، مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية، ص10-13، مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية وأثره في تحقيق وحدة الأمة، البحرين.

خطأ التعميم والتنميط

كما تعني الموضوعية عدم التنميط والتعميم:

ففي كل أمة وطائفة تتعدد الآراء والمواقف، وقد تتبنى بعض الآراء أقلية منهم، وحين الحديث عن هذه الأمة أو المجتمع لا يصح وصفهم جميعاً بذلك الرأي، بل تقتضي الموضوعية الإشارة إلى تنوع الرأي لديهم، وإلى النسبة التي يمثلها القائلون بذلك الرأي في أوساطهم.

إننا نواجه في الأزمة مع الغرب وخاصة أمريكا هذه المشكلة بصورة واضحة، حيث تسعى بعض الدوائر هناك، وكثير من وسائل الإعلام وصف المسلمين بصفات سيئة كالإرهاب، لأن فئة محدودة منهم تبنت هذا المسلك. وفي المقابل نجد عندنا من لا يرى في الغرب إلا انحلالاً أخلاقياً ونشاطاً استعمارياً.

ومن هذا القبيل نجد في الشيعة من يصف أهل السنة جميعاً بالنصب والعداء لأهل البيت (عليهم السلام)، وهو تعميم خاطئ فإن النواصب فئة ضئيلة محدودة، وقد لا يكون لها وجود إلا في أزمنة غابرة، وإذا كان أهل السنة لا يرون لأئمة أهل البيت ما يراه الشيعة لهم من العصمة والإمامة المنصوصة، إلا أنهم يحبون أهل البيت (عليهم السلام)، وفي كتبهم كثير من فضائلهم ومناقبهم.

ويعطينا القرآن الكريم درساً في التزام الموضوعية وتجنب التعميم والتنميط في تقويم المجتمعات الأخرى، حين يتحدث عن ظاهرة كانت لدى بعض يهود يثرب، في عدم الالتزام بحرمة أموال الآخرين، فيشير القرآن الكريم: إلى أن عدم الوفاء بالأمانة المالية ليس سمة عامة لجميع اليهود، بل هي ممارسة لقسم منهم، يقول تعالى:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾[1].

والقنطار هو المال الكثير.

إن التعميم والتنميط يشكل قراءة مبتورة ومخالف للموضوعية والواقع.

بين الصيرورة والاستصحاب

المدارس الفكرية والمذاهب الفقهية ليست قوالب جامدة، بل يحصل في أوساط علمائها ومجتهديها التغيير والتطور، وعند القراءة لأي مدرسة أو مذهب، ينبغي أخذ الصيرورة في ثقافته بعين الاعتبار، ولا يصح استصحاب الآراء والمواقف التاريخية كإرث حتمي ثابت.

في المؤتمر الذي انعقد قبل أيام في الكويت تحت عنوان (الجماعات الإسلامية وأثرها في الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط) كان يناقشني أحد الأمريكيين المشاركين عن موقف الإسلاميين من المرأة مستشهداً بكلام لأبي حامد الغزالي (المتوفى 505هـ) قلت له: ولكن هناك غزالي معاصر هو الشيخ محمد الغزالي له كلام آخر يدافع عن حقوق المرأة ويدعو إلى مشاركتها السياسية والاجتماعية.

لقد كان للخوارج موقف عدائي من الإمام علي بن أبي طالب، وكانوا يجهرون بالطعن عليه، ولكن المعاصرين من الاباضية لا يذكرون علياً إلا بخير، فهل يحق لنا أن نستصحب موقف أسلافهم وننظر إليهم من خلاله؟!

---

(1) سورة آل عمران آية 75.

إن تراث المسلمين وتاريخهم مليء بالنزاعات والمواقف العدائية تجاه بعضهم بعضا، لكن علماء مختلف المذاهب الإسلامية قد تجاوزوا الكثير من تلك الآراء والمواقف المتشددة، فلا ينبغي الرجوع إلى الوراء ونبش ما في كتب التراث، واعتبار ما ورد فيها رأياً للأجيال المعاصرة.

الاستيعاب

وذلك بالاطلاع على مختلف أبعاد الرأي الآخر، أما الاقتصار على جانب واحد فهو يشكل قراءة ناقصة مبتورة.

فمن سمات القراءة الخاطئة أن يهتم القارئ بالاطلاع على ثغرات الطرف الآخر ونقاط ضعفه، ويتجاهل جوانب قوته، وموارد إصابته، فتكون الصورة حينئذٍ مشوهة قاصرة.

ومما يعنيه الاستيعاب معرفة الخلفيات الفكرية والتاريخية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيل آراء ومواقف الجهة المقروءة. فذلك يساعد على الفهم الصحيح، والرؤية الواضحة.

عوامل مساعدة للقراءة الصحيحة

أولاً: نشر الوعي والثقافة التي تدعو إلى قراءة الآخر قراءة صحيحة، والتوقف عن أسلوب التلقين وتوارث النظرات والمواقف تجاه الآخر. خاصة وقد توفرت الآن وسائل المعرفة، وزالت الحواجز، وأصبح التواصل الثقافي والمعرفي أمراً ميسوراً.

ثانياً: أن تسعى مختلف الجهات والفئات إلى تقديم نفسها، وعرض آرائها ومواقفها، فلا مجال للتوجهات الباطنية في العقيدة والمذهب، ولا مبرر للتقيّة والكتمان.

فعالم اليوم عالم مفتوح، وهناك درجة من الحصانة لإنسان العصر ليعبر عن آرائه الدينية، من أي دين أو مذهب كان.

ثالثاً: أن تتيح الحكومات فرصة كافية لمختلف المذاهب والتوجهات لتعبر عن نفسها. تطبيقاً لمفهوم التعارف الذي طرحه القرآن الكريم **﴿لِتَعَارَفُوا﴾** فذلك أدعى لاستقرار المجتمعات، وتوطيد انسجامها وألفتها.

إن من المؤسف جداً أن تقتصر الجامعات العلمية وكليات الشريعة في بعض البلدان على تدريس مذهب محدد، وتتجاهل بقية المذاهب الإسلامية، مما ينتج جيلاً من الخريجين ذوي نظرة آحادية، وانغلاق مذهبي.

رابعاً: تحتاج بلادنا إلى مؤسسات أهلية تقوم بــدور التعــارف والتعريف بين التوجهات والمدارس والمذاهب، خاصة أنا كنا نعــيش زمناً من القطيعة والتجاهل على هذا الصعيد.

ونأمل أن يسهم مركز الحوار الوطني الذي دعا إلى إنشائه سمو ولي العهد، وصدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين على تأسيســه، في تلبية هذا الطموح.

والحمد لله رب العالمين

حوار ساخن

من أجل قراءة أفضل

(نص المقابلة التي أجرتها مجلة الجســور مــع سماحة الشيخ حسن الصفار.(الجســور: مجلــة شهرية فكرية شاملة، تصدرها شــركة النجــوم للصحافة والنشر - قبرص، العدد التاسع، السنة الأولى، ربيع أول 1425هـ) أجرى اللقاء سكرتير التحرير الأستاذ ياسر بن محمد با عامر في مكتب سماحة الشيخ بالقطيف).

القطيف - ياسر باعامر

أدى البروز الشيعي الأخير إلى قلق في الشارع السعودي، بمختلف مؤسساته، وعلى رأس تلك المؤسسات المؤسسة الشرعية الرسمية منها والأهلية، وثمّت من القواعد الصحوية في المملكة من يرفض من الأساس مبدأ الحوار مع الطرف الشيعي، وقد صرح الشيخ صالح الفوزان - عضو هيئة كبار العلماء - لصحيفة الحياة في 3 أبريل 2004 حينما سئل عن منهج أئمة الدعوة في التقارب مع الشيعة أجاب بصراحة قائلاً : «نحن لا نتقارب إلا مع أهل الحق وأهل السنة، أما أهل الباطل وأهل الضلالة فلا نتقارب معهم إلا إذا تابوا إلى الله عز وجل ورجعوا إلى الحق».. إجابة واضحة تمثّل قطيعةً حدّيّة مع التشيّع وأهله باعتبارهم ضُلالاً مبتدعة.

لكنّ أجواء الحوار الوطني الأخيرة، ومشاركة الشيعة فيها، أفرزت جملة من التساؤلات: أليس المجتمع الشيعي جزءاً لا يتجزأ من مكونات المجتمع السعودي؟

ما حقيقة ما يزعمه الشيعة من إقصاء تعرضوا له من قبل المؤسسة الدينية الرسمية في البلد؟

وماذا عن ولاء الشيعة العابر للحدود الممتد لحوزات قم والنجف؟

وكيف يمكن لنا - نحن السنة - أن نجد توفيقاً لعواطف شيعة السعودية نحو إيران، وبين حبهم لوطنهم، مع ما بين البلدين من توتّرات في مراحل تاريخية متعددة؟

أليس من الأجدر بشيعة المملكة، براءتهم من سب وتكفير الصحابة، قبل أن يلجؤوا إلى قاعات الحوار الوطني ذات الغالبية

السنيّة، التي تجلّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين؟

أسئلة كثيرة طرحناها على الشيخ حسن الصفار أحد كبار رموز التيار الشيعي في السعودية، وأحد ممثليهم في مجالس الحوار الوطنيّ.

فإلى هذا الحوار الذي تضمّن كثيراً من المفاجآت ليس أكبرها أن الصفار يرى حُرْمة سبّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!

- **ما هي مطالب الشيعة التي طرحت في ملتقيات الحوار الوطني؟ وهل كانت هذه المطالب مجمعاً عليها من قبل مرجعيات المجتمع الشيعي السعودي، أم كانت عبارة عن مطالب فردية لحسن الصفار؟**

الحوار الوطني لم ينعقد من أجل مناقشة مطالب هذه الطائفة أو تلك، أو حاجات هذه المنطقة أو تلك المنطقة، وإنما انعقد الحوار الوطني استجابة لتحديات يواجهها الوطن، رأت القيادة أن من المناسب أن يناقشها عددٌ من ذوي الرأي والمشورة. وبالطبع فإنّ بعض محاور هذه القضايا يرتبط ببعض ما يتطلع إليه المواطنون الشيعة، ويتطلع إليه غيرهم أيضاً. ليست هناك تطلعات خاصّة بالشيعة من خلال هذا الحوار الوطني، وإنما هي تطلعات وطنية عامة ينشدها كل المواطنين.

- **هذا (البعض) الذي يتطلع إليه المواطنون الشيعة هل هو مجمعٌ عليه من قبل مرجعياتكم الشيعية أم أنّها رؤى وتصورات فردية لكم؟**

قلت لك: إنّ الحوار الوطني ليس لقاء (مطالب)، مطالبنا نحملها إلى ولاة الأمر، أما الحوار الوطني فهو لقاء تجتمع فيه نخبة من أبناء الوطن لمعالجة القضايا الوطنية العامة، والمشاكل التي يواجهها

الوطن، ولذا نحن لم نذهب للحوار باعتباره جهة نحمل إليها مطالبنا، نحن نقلنا مطالبنا إلى ولاة الأمر عبر وثيقة قدمت لولي العهد بعنوان (شركاء في الوطن)، وكانت تشير إلى بعض المعاناة التي يعاني منها المواطنون الشيعة، أما الحوار الوطني فقد شاركنا فيه باعتباره منتدى وطنياً عاماً، نلتقي فيه ببقية النّخبِ الوطنيّة، وننفتح معهم، ونتواصل معهم، ونتداول الرأي حول القضايا الوطنية العامة،ولذلك لم تكن لنا أجندة خاصة في الحوار الوطني، ولم أشارك فيه باعتباري ممثلاً لطائفة أو لمذهب أو لمنطقة، وإنّما شاركت باعتباري واحداً من هذه النخبة الوطنيّة التي اجتمعت لتدارس قضايا الوطن، ولمعالجة بعض التطورات.

ليست هناك تطلعات خاصّة بالشيعة من خلال هذا الحوار الوطني وإنما هي تطلعات وطنية عامة ينشدها كل مواطن

- **لا أظنّ أحداً يستطيع أن ينكرَ أنّ جميع أو جلّ المشاركين في الحوار قد سعَوا لتحقيق (مكاسب) أو (مطالب) لفئتهم أو منطقتهم. ولم يكن ملتقى الحوار الوطني -بالتأكيد- كأيّ ملتقى آخر للتشاور.**

أعتقد أنّ الحوار الوطني له مهمتان رئيستان.

المهمة الأولى: تحقيق حالة التواصل والانفتاح بين الشرائح والفئات الوطنية المختلفة، فقد كنا نعيش حالة من القطيعة والتباعد، وكانت حالة الإقصاء والإلغاء هي السائدة في البلد، ومؤتمر الحوار الوطني كان فرصة لكي يلتقي هؤلاء الناس مع تنوع مذاهبهم وأفكارهم ومناطقهم، يلتقون ويرسون قواعد للتواصل الدائم فيما بينهم؛ ليتجاوزوا حالة القطيعة والتنافر هذه هي المهمة الأولى.

أما **المهمة الثانية:** فهي مهمة بلورة بعض التصورات تجاه

القضايا الوطنية الموجودة وتقديم هذه التصورات للدولة. المؤتمر - كما أشرت سابقاً - ليس جهة تنفيذية يُطلب منها تنفيذ شيء. وبالفعل طرحت بعض القضايا ونوقشت، ورفعت محاضر هذه المناقشات للمسؤولين، واستخلصت نتائج وتوصيات قدّمت لولي العهد في اللقاء الوطني الأول والثاني. وفي هذه التوصيات ما يمت بصلة إلى معالجة بعض المشاكل التي يعاني منها المواطن الشيعي وغيره مثل: إقرار حالة التنوع، وإقرار المساواة بين المواطنين، ومسألة معالجة بعض الإشكالات في مناهج التعليم، وما أشبه ذلك من القضايا التي حملتها التوصيات المنشورة.

- **كيف تقبل المجتمع الشيعي ملتقيات الحوار الوطني التي أجريت حتى الآن؟**

ارتاح الشيعة كثيراً لهذه المبادرة، وشكروا للدولة رعايتها لها، ورأوا فيها مخرجاً لحالة الاحتقان التي تسود بين الشرائح والطوائف داخل المملكة. وحينما عدت من اللقاء الأول وكذلك حينما عدت من اللقاء الثاني وجدت عند الجمهور تلهّفاً لمعرفة ما دار في الحوار، وكانت معنوياتهم مرتفعة، وكانوا يأملون أن يكون هذا الحوار بداية لمرحلة جديدة من توثيق الوحدة الوطنية بين المذاهب والشرائح المتنوعة في المملكة.

- **هل تتكلمُ عن تلهّف (النخبة الشيعية) لمعرفة ما حصل في الحوار، أم أنّه كان شعوراً جماهيريا عاما؟**

كانت هناك لقاءات نخبوية، وكانت هناك بعض اللقاءات مع العامة وتحدثت في خطبة الجمعة بعد اللقاء الأول وبعد اللقاء الثاني مع المصلين عن موضوع الحوار الوطني، وبعد حديثي كانت هناك تساؤلات ونقاشات تكشف عن اهتمام المواطنين بما حصل.

لم أشارك في الحوار باعتباري ممثلاً لطائفة أو لمذهب أو لمنطقة، وإنما شاركت فيه باعتباري واحداً من هذه النخبة الوطنية التي اجتمعت لتدارس قضايا الوطن

- **هناك من يرى بأنّ الحوار الوطنيّ ليس إلا محاولة حكوميّة للتنفيس، وأنّه مجرد امتصاص لحالة الاحتقان التي أوجبتها التطورات المتسارعة. ما قول الشيعة في ذلك؟**

المجتمع الشيعيّ كبقية المجتمعات في المملكة ليس مقولباً في تحليل واحد، عندنا من يحمل نظرة سلبية متشائمة تجاه الحوار، ويراه مجرّد تنفيس كما ذكرت. ولكنّ نسبة هؤلاء في تصوري محدودة وليست كبيرة.

- **على أيّ شيء بنيتَ هذه المحدوديّة في نسبة هؤلاء؟**

من خلال علاقتي مع الناس، واستماعي لوجهات النظر، وما ينشر على الإنترنت من قبل أبناء هذا المجتمع. الأكثرية في المجتمع تميل إلى التفاؤل وتتوقع أن يكون لهذا المؤتمر دور طيب في تحسين العلاقة بين المواطنين.

- **هل من الصحيح أن يجمع الشيعة بين انتماءاتهم المذهبية للحوزات العلمية في العراق وإيران وهذا أمر لا يخفى وبين ولائهم الوطني؟خصوصاً أن البعض يرى أنّ مثل هذا الجمع يعد مشكلة وطنية في حد ذاتها، خصوصاً وأن المرجعية الشيعية لها قدسية في المجتمع الشيعي، بمعنى أنّها لو أصدرت فتوى بمناهضة الحوارات الوطنية فسيلتزم بها المجتمع لديكم؟**

هذا يحتاج إلى أن تُفهم موقعية المرجعية الدينية للشيعة، المرجعية الدينية عند الشيعة هي مرجعية في المسائل الدينية الفقهية فقط، وليست في المسائل السياسية. والشيعة في مختلف بلدانهم

وأوطانهم مندمجون في أوطانهم ومجتمعاتهم ولهم أطرهم الوطنية الموجودة داخل بلدانهم فيما يرتبط بأوضاعهم الوطنية. المرجعية لها دور ديني فقهي والأصل ألا تتدخل المرجعيات الشيعية في الأوضاع السياسية في بلدان الشيعة. مثلاً طوال تاريخ الشيعة في المملكة لم تتدخل المرجعيات الدينية في العراق أو في إيران بإلزام الشيعة في المملكة بشيء يخالف سيادة الوطن، وهذا تاريخ قائم.

لا يلام الشيعة على عواطفهم نحو إيران وإنما يلام الذين لا يبدون تعاطفاً مع إيران وهي دولة إسلامية واجهت النفوذ الأمريكي

- **وما تقول في الفتوى المشهورة عند الشيعة التي تنصّ على أنّ: «لولي أمر المسلمين ولاية على مقلديه خارج الحدود، بحيث لو أصدر حكماً فعليهم إتباعه» وهذا يؤكد أن شيعة المملكة لهم ولاءات خارج الحدود، كيف تتفق الوطنيّة مع هذه الولاءات؟**

هناك اختلاف داخل المجتمع الشيعيّ حول مسألة (ولاية الفقيه)، وأكثر مراجع الشيعة لا يرون مبدأ (ولاية الفقيه المطلقة).

إنّ آية الله السيد الخوئي الذي يعتبر المرجع الأعلى للشيعة في العالم وفي المملكة لا يرى ولاية الفقيه المطلقة، والمرجعية العليا للشيعة السيد السستاني الموجود الآن في العراق هو الآخر لا يرى هذه الولاية للفقية.

قضية ولاية الفقيه لها جذور في الفقه الشيعي ولكن الذي بلورها وطرحها في هذا العصر هو الإمام الخميني، وأقام على أساسها الجمهورية الإسلامية، ولكن ليس كل الشيعة يقلّدون الإمام الخمينيّ، أويقلّدون خليفته الآن السيد خامئني في إيران هذا أولاً.

أما الناحية الثانية فهي متعلقةٌ بحدود ولاية الفقيه عند من يؤمن بهذه النظريّة. أكثر علماء الشيعة يرون أن ولاية الفقيه لاتتعدّى حدود منطقته، وقد تحدث السيد محمد حسين فضل الله الموجود الآن في لبنان عن هذه المسألة وقال بوضوح: «للفقيه المجتهد الولاية والسلطة على إدارة شؤون الناس العامة مما يحتاج فيه إلى ولايته. والشؤون العامة هي ما يرجع إلى النّظام العام الذي يتوقف عليه توازن حياة المسلمين بغيرهم بما يحفظ مصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية ونحوها، ويقوم به نظام حياتهم كمجتمع، كذلك فإنّ له الولاية على الأفراد الذين فقدوا وليهم كالقاصرين والمجانين. هذا وحيث يصدر الفقيه أمراً تجب طاعته، ولا يجوز الخروج فيما هو ولي عليه في حدود المنطقة التي يُعمل ولايته فيها».

مثلاً في إيران هناك مجلس خبراء منتخب من مختلف مناطق إيران هذا المجلس المنتخب هو الذي يختار وليا للفقيه، فهم اختاروا وليا للفقيه فولايته عليهم هم، أما الشيعة الذين هم خارج هذا الإطار، ولم يشاركوا في الاختيار والانتخاب فلا تسري عليهم ولايته.

إذن هناك نقطتان حتى الآن:

الأولى: أن ولاية الفقيه ليست مبدأ مجمعاً عليه عند الشيعة.

والثانية: أنه حتى مع القول بولاية الفقيه فإنّ ولايته تختص بمن انتخبه، وبالمنطقة التي يُعمل فيها ولايته.

ثمّت نقطةٌ ثالثة هي أنّ من ميزة المرجعية عند الشيعة أنّ المرجع يختار ضمن مواصفات علمية متقدمة، يعني يعرفه العلماء، وتعرفه الحوزة العلمية، وبالتالي غالبا ما يكون له نضج وله اتزان نفسي، هذا النضج وهذه المقومات التي عنده تجعله أكثر تعقّلاً من أن يعطي أمراً لأناس يعيشون ضمن وطن وضمن بلد ولهم أوضاعهم وأحوالهم. المسألة ليست كمسألة بعض الجماعات الإسلامية التي

تختار شاباً وتبايعه أميراً للجماعة وقد لا يمتلك شيئاً من العلم أو النضج فيفتي ويقرر. الشيعة ليسوا كذلك، إنما يختارون العالم بل الأعلم، ويرون أن يكون الأعلم هو من منسوبي الحوزات العلمية يعرفه العلماء ويعرفه الفقهاء وعلى درجة من العدالة والنضج، وبهذا يكون في مستوى من التعقل بحيث لا يتدخل في شؤون البلدان الأخرى بما يوجب اختلال النظام، وبما يوجب الإساءة لوضع المواطنين الشيعة.

إذن نحن ليست لدينا مشكلةٌ مع أوطاننا أبداً. وانظر حولك هاهم الشيعةُ يعيشونَ في المملكة ولبنان والبحرين والكويت ومختلف المناطق ولم يحصل أن جاءهم أمر من الخارج يزعزع وضعهم السياسي في البلد.

إن علاقة الشيعة مع المراجع مثل علاقة السنة مع علمائها، أليس هناك اليوم مسلمون في الباكستان يتبعون فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله؟ هل يتناقض هذا مع ولائهم للوطن الأم باكستان؟ وهناك مسلمون في مختلف المناطق يتبعون فتاوى شيخ الجامع الأزهر فهل يناقض اتّباعهم لفتاوى شيخ الأزهر ولاءهم للوطن؟ الشيخ القرضاوي الآن يعدّه الكثيرون مرجعية دينيّة وفكريّة فهل نقول: إنّ اتّباع هؤلاء للشيخ القرضاوي يتناقض مع ولائهم الوطني؟لماذا يثار هذا الكلام فقط حول الشيعة مع أن علاقة الشيعة بمراجعهم مثل علاقة السنة بعلمائهم مع بعض الميزات المحددة التي لا تخالف هذا السياق العام.

المرجعية الدينية عند الشيعة في السعودية هي مرجعية في المسائل الدينية الفقهية فقط لا في المسائل السياسية

- **دعني أتجاوزُ هذا الإطار الفقهيّ المحض وأتحدّث عن واقعٍ سياسيّ، هناك قلق في الشارع السعودي الشعبي والنخبوي**

على حد سواء، وأيضاً على صعيد المؤسسة الرسمية من الانتماء الشيعي السعودي خارج الحدود، ويرى هؤلاء القلقون أنّ هذا يقدح في وطنية الشيعة مستدلين بالتدفق الشيعي العاطفيّ نحو إيران، وغيرها من التكتلات الشيعية، وبتاريخية الانحياز الشيعي ضد الوطن لصالح إيران في أكثر من موقع، بل هناك حديث عن علاقة للشيعة في المنطقة الشرقية بحزب الله اللبناني، ما حقيقة انتماء شيعة المملكة العابر للحدود؟

في البداية ليس الشيعة هم الذين يسألون: لماذا لديهم تدفق عاطفي نحو إيران؟ وإنما الأخوة المعترضون يسألون: لماذا هم لا تتدفق عواطفهم نحو إيران؟ إيران شعب مسلم كان يعيش تحت ظل نظام غربي (نظام الشاه) يتعاطى مع إسرائيل، ويتعاون مع إسرائيل. جاءت ثورة إسلامية بقيادة علماء الدين، وصنعت جمهورية إسلامية، وتبنت القضية الفلسطينية.

السؤال من أساسه خطأ، والسؤال الصحيح لماذا لا يتفاعل هؤلاء المعترضون مع دولة مسلمة كإيران؟ إيران شعبٌ مسلم ويريد تطبيق الإسلام.

- **بالله عليك، كيف تريد أن تتدفق عواطفنا نحو إيران، وفكرة تصدير الثورة بارزة أمامنا؟**

تصدير الثورة هذا موضوع سياسي وخاطئ، وإيران تراجعت عنه. ثم هو لم يكن سياسة عامة، كان مجرّد تصريحات خاطئة تراجعت عنها إيران، فلا يلام الشيعة على عواطفهم نحو إيران وإنما يلام الذين لا يبدون تعاطفاً مع إيران هم يجب أن يسألوا هل هذا من منطلق طائفي؟ إذن هم طائفيون لأنهم لم يتعاطفوا مع إيران، أما الشيعة عندما تعاطفوا مع إيران فهم منسجمون مع وجدانهم ومع عواطفهم الدينية والإنسانية.

- **لكن ثمت من يشكك في تخلي الشيعة عن فكرة تصدير الثورة، ويقولون هذا تكتيك مقنّع بالتقية المعمول به عند الشيعة. كيف ترد على ذلك؟**

أنا أرد بأن الولايات المتحدة الأمريكية كان لها دور في إثارة هذا التشكيك وفي دعم هذه التوجهات التشكيكية، الثورة الإسلامية حينما انتصرت في إيران كانت ضربةً كبيرة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، ولذلك حاولت أمريكا بمختلف الطرق محاصرة هذه الثورة، وهي التي دفعت النظام العراقي الزائل لمحاربة إيران. إثارة هذا التشكيك تجاه الثورة في إيران وتجاه الشيعة تولى كبره الاستعمار، ومع الأسف بعض إخوتنا السنة مرّت عليهم هذه المؤامرة واستجابوا لها وشاركوا فيها. نعم.. هناك أخطاء حصلت عند الإيرانيين نحن لا ننزه الإيرانيين عن الأخطاء، وهم يعترفون بأنهم حينما جاءوا إلى الحكم لم تكن لديهم خبرة سياسية، ولم توجد لديهم كذلك تجربة سابقة، هناك أخطاء لكن المشكلة في الأساس تكمن في الدور الأمريكي والصهيوني من أجل محاصرة هذه الثورة ومن أجل العبث بخيرات هذه المنطقة ومع الأسف أن بعض السنة ولا أقول الكل مرت عليهم هذه المؤامرة.

إيران تراجعت عن تصدير الثورة، وإثارة هذه المسألة في أجواء الحوار سلوك مغرض

- **هذه إيران، فماذا عن حزب الله اللبناني؟**

ليست لدينا علاقات تنظيمية مع حزب الله، ولكني أعتقد بأن حزب الله يحظى بتعاطف من قبل كل المسلمين سنة وشيعة، وعليك أن ترى احتفاء الفلسطينيين به، وعليك أن ترى المصريين وهم يحملون أعلام حزب الله، وعليك أن ترى أهل الأردن، وعليك أنت

ترى في كل مكان. بل أنا أعتقد أن نسبة كثيرة من المواطنين في المملكة يتعاطفون مع حزب الله بسبب مواقفه الجهادية المشرفة.وأريد أن أطرح عليك سؤالاً: حزب الله لا خلاف على الدور الذي يؤديه، والشيعة إذا تعاطفوا مع حزب الله فهم يتعاطفون مع موقف لا خلاف عليه. ولكن ماذا عن التعاطف مع طالبان ومع بن لادن وهو تعاطف منتشر في المملكة؟ أنا الآن أتكلم عن المملكة كيف يعاتب الشيعة على التعاطف مع حزب الله الذي يواجه إسرائيل، ويقوم بدور متفق عليه، ولا يعاتبُ السنةَ على التعاطف مع طالبان ومع القاعدة ومع بن لادن وعمل هؤلاء وأدوارهم غير متفق عليها؟

أعتقد أن نسبة كبيرة من المواطنين في المملكة يتعاطفون مع حزب الله بسبب مواقفه الجهادية المشرفة

- **يحاولُ الشيعةُ أن يجعلوا لأنفسهم رموزاً من الشخصيات الدينية البارزة يجعلونها بإزاء الرموز العلمية السلفيّة. مع أن المتتبع والواعي يدركُ أن الرموز الدينية السلفية كان لها أبرز الأثر في تأسيس المملكة أولاً ثم في صيانة تماسكها إبان حرب الخليج وغيرها من الأزمات، بينما كان رموز الشيعة في تلك الأوقات الصعبة يلتزمون الصمت، وينكفئون مع أتباعهم داخل (كانتونات) خاصة بهم. أين هو الولاء الوطنيّ الذي زعمته آنفاً؟ وكيف تقولُ بأن الشيعة حريصون على اللحمة الوطنية وهم لم يقدموا للمجتمع السعودي شيئاً يذكر؟**

في البداية أنا أطالب بالتسامي على لغة المزايدات.

وبالنسبة لحرب الخليج أذكّرك بأنّ الوسط السلفي قد نشأت فيه معارضة قوية للحكومة السعودية حول موقفها من تحرير الكويت، وهذا شيء معروف كانت هناك معارضة ودخل أناسٌ السجن،

وأعلنت مواقف ضدّ توجه الحكومة السعودية للاستعانة بالقوات الأمريكية والمشاركة في تحرير الكويت، هذا ما حصل في الوسط السلفيّ.

في المقابل كانت للشيعة معارضة قبل حرب الخليج الثانية، وحينما حصلت الحرب جمد الشيعة معارضتهم مراعاة للوضع الذي يعيشه البلد، وطالبوا جمهورهم بأن يصطف مع الحكومة، ويتعاون معها، وينخرط في سلك الدفاع عن الوطن، وأن يصمد في مناطقه، وهذا ما حصل، الشيعة في حرب الخليج الثانية، كان موقفهم وطنياً مشرفاً، ولكن ليس هناك إعلام يسلط الضوء على ما فعله الشيعة.

وأنا هنا لست في موقع المزايدة على الآخرين لكن لأوضح الصورة.

■ **نحن لم نر شيئاً مما تحدثت عنه من بطولة علماء الشيعة، لم نقرأ ولم نسمع شيئاً!**

بلى كانت هناك بيانات وخطب، ولكن المشكلة تكمن في أنه لم يكن هناك مجال لظهور الرموز ولا المواقف ولا الأفكار إلا من طرف واحد، المشكلة ليست عدم وجود نشاط أو طرح أو آراء أو مواقف عند الشيعة. لم يكن هناك تسليط للأضواء على هذه المواقف ثم كل إنسان يتحمل مسؤوليته بمقدار المجال المتاح له أنت تتحدث عن علماء أمامهم التلفزيون وأمامهم الإذاعة وأمامهم الصحف وبأيديهم المؤسسات والأجهزة ويقومون بأدوار واضحة، ثم تطالب أناساً بالكاد يحصلون على مسجد يصلون فيه، أو بالكاد يسمح لهم بنشاط ثقافي أو إعلامي تطالبهم بأن يكون حضورهم كحضور الأولين!

■ **وماذا عن الانعزالية التي تعيشونها؟ لماذا لا تعترف بأن علماء الشيعة قد أوصلوا مجتمعهم إلى حالة من الانفصال عن بقية**

المجتمع السعوديّ. دائماً الشيعة يتركزون في أحياء معينة ومدن معينة بعيداً عن الاختلاط بالشعب، وقد لاحظت هذا بوضوح وأنا أتجول في مدنكم.

هذه الحال الموجودة حالٌ سلبية بالتأكيد. وقد سبّبها أمران:

أولهما: الحصار المفروض على الشيعة.

- **من قِبَلِ من؟**

من قبل أطراف أخرى كالمؤسسة الدينية، والأجهزة المتجاوبة معها. هؤلاء فرضوا على الشيعة هذا الحصار هذا أولاً.

من الناحية الثانية أصبح عند الشيعة كرد فعل لهذا الحصار الذي فرض عليهم حالة من الانطواء.

والحقيقةُ أنّ هذه المسألة لا تخصّ الشيعة وحدهم. كل الأطراف الأخرى تعيش ضمن حالة منطوية منغلقة: الصوفية في الحجاز أيضاً يعيشون مثل هذه الحالة، الإسماعيلية في نجران أيضاً يعيشون ضمن هذه الحالة، حتى أتباع المذاهب السنية الأخرى. أنا أعرف بعض علماء المذاهب الأخرى في المنطقة الشرقية هم يشكون من أنهم يعانون من مثل هذه الحالة. حصول هذه الكنتونات المسؤول عنها السياسات العامة القائمة في البلد التي لم تتح المجال بمستوى متساوٍ لمختلف الأطراف، فالفرص كلها متاحة لطرف واحد، والأطراف الأخرى لا مجال للفرص أمامها، وهذا ساعد على خلق هذه الفجوة وهذه الكنتونات.

ويهمّني أن أقول: بأنّ الوضع ليس بهذه الحدّة التي صورتموها في سؤالكم، هناك الآن مجاميع كبيرة من الشيعة يعيشون في مختلف مناطق المملكة، ويعملون في مختلف أجهزة الدولة في الرياض وغير الرياض وهنا في المنطقة الشرقية أيضاً هناك تداخل جيد، ومن قبل هذه الحالة المستجدة كان هناك تداخلٌ رائعٌ بين السنة والشيعة في

المنطقة الشرقيّة، ولحدّ الآن يتذكّرُ آباؤنا من السنة والشيعة في المنطقة الشرقية كيف كانت حالة التمازج والاندماج والتواصل قبل أربعين سنة.

- **قبل قليل حمّلت المؤسسة الدينية حالة الانفصام بين الشيعة والمجتمع.**

نعم صحيح، كل هذا بسبب المؤسسة الرسمية الدينية بالمملكة فقط.

- **فقط المؤسسة الدينية!**

نعم، والباقي ردود فعل، الفعل منها وما يحصل عند الآخرين ردود فعل. أضرب لك مثلاً فيما يرتبط بالتزاوج نحن لا مانع عندنا من الناحية الفقهية أن يتزوج الشيعي سنية، أو تتزوج الشيعية سنياً، وفتاوانا وفتاوى العلماء واضحة في هذا السياق ولكنّ المؤسسة الدينية الرسمية لديها تعليمات تمنع زواج السنية من الشيعي. بل يطبق هذا القرار حتى خارج المملكة! يحصل أكثر من مرة أن يذهب مواطن شيعي إلى الشام مثلا إلى سوريا ويتزوّج سنية هناك. وحينما يأتي بمعاملته إلى السفارة ويتنبّهون إلى أنه شيعي وهي سنية يوقفون المعاملة! من الذي يمنع الاندماج؟ ليس الشيعة من يمنع الاندماج.

أمرٌ آخر. الشيعة كلهم يدرسون كتب السنة في مناهج التعليم، ويقرؤونها في المكتبات العامة، كتب السنة موجودة في المملكة، ولكن كتب الشيعة ممنوع أن تتوفر في المملكة. من الذي لا يريدُ أن ينفتح إذن؟

أقول: إنّ هذه الحالة الموجودة في المملكة بين الطوائف وبين الشرائح المسؤولُ عنها هي السياسات العامة المطبقة في البلد والتي هي بوحي من المؤسسة الدينية الرسمية بالبلد.

- **أليس من حق الأكثرية تشكيل هوية الوطن، كما أن من حق الأقلية أن لا تُظلم ولا يعتدى عليها؟ الملاحظ أنّكم تتجاوزن حدّ المطالبة برفع الظلم إلى المطالبةِ بإعطاء السعوديّة وجهاً شيعياً بارزاً مع أنكم لستم إلا أقلية.**

أولاً اسمح لي بالتحفظ على مصطلح الأقلية والأكثرية، أنا أعتقد أننا كلّنا نعيش في هذا الوطن كمسلمين، ولا ينبغي أن يكون هناك فرز مذهبي، بحيث تكون هناك أقلية وأكثرية، ما دمنا ننتمي إلى عرق واحد وما دمنا ننتمي إلى دين واحد، وإذا سلّمنا بهذا المصطلح أقلية وأكثرية وأن الشيعة أقلية في المملكة فإني لا أعلم أن الشيعة يريدون أن يبرزوا ملامح شيعية للمملكة، الشيعة يكفيهم أن تحفظ حقوقهم وأن يعيشوا حالة مساواة مع بقية المواطنين وليس هناك شيء أكثر من هذا.

- **أنتم كمجتمع شيعي في المنطقة الشرقية إلى من ترجعون؟**

كبار العلماء المحليين.. عندنا في القطيف قاضي محكمة الأوقاف والمواريث، وعندنا في الإحساء أيضا قاضي محكمة الأوقاف والمواريث، وعندنا الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، والسيد علي ناصر السلمان، والشيخ محمد علي العمري، ومجموعة من العلماء.

- **هل لديكم مرجعية مؤسسية؟**

لا مرجعية على شكل مؤسسة، وأتمنى أن يحصل ذلك لكن هذا الأمر يحتاج إلى ضوء أخضر من الدولة، وهناك نوع من التنسيق الداخلي بين العلماء الموجودين في داخل البلد لكن لا يرقى إلى الحالة المؤسساتية.

- **إذا كان الشيعةُ أنفسهم لا يملكون مرجعية عند الخلاف، بل تتعدد مرجعياتهم بتعدد ولاءاتهم الحوزويّة، فكيف ستكون لهم**

مرجعية مشتركة مع السنة؟ وإذا لم تكن المرجعية موجودة فكيف سيكون الحوار بلا سقف مرجعي؟

هذه الحالة موجودة عند كل المسلمين. بل هي عند الإخوة السنة أكثر حدّة منها عند الشيعة، وقد قرأت في الشرق الأوسط قبل فترة مقابلة مع الدكتور محمد النجيمي ويمكن الرجوع إليها وهو يقول فيها: إنّ الشيعة عندهم وضع مرتب، ولهم مرجعية يرجعون لها ضمن مواصفات معينة، أما نحن السنة فنحن عندنا مشكلة في هذا الإطار.

هذه المشكلة موجودة حتى مع وجود مرجعيات لا ينتفي الخلاف. الآن في مصر الجامع الأزهر موجود وشيخ الجامع الأزهر موجود ومفتي مصر موجود ولكن أيضاً تتكون جماعة من علماء الأزهر وتتكون جماعة إخوان المسلمين وبالتالي هناك آراء.

وليس مطلوباً من الشيعة وهم يكّونون ثلث العالم الإسلامي يعني 400 مليون أو أكثر ليس المطلوب منهم أن يكون لهم مرجع واحد أو مرجعية واحدة، وأن لا تختلف الآراء هذه حالة موجودة في كل المجتمعات البشرية، ولكن ينبغي في مجتمعاتنا أن تكون عندنا آلية لمعالجة أمور الخلاف.

- **في 23 يناير 2004م قلت في مقالتك بجريدة الشرق الأوسط – بعنوان اللقاء الوطني الثاني.. الانفتاح الكبير– ما نصه : «ليس مقبولاً أن يتحدث البعض منا في جلسات الحوار بلغة الوحدة الدينية والوطنية، وأن يظهر الاحترام للرأي الآخر، فإذا ما عاد إلى وسط جمهوره وتياره، خضع للأجواء السائدة من تجاهل الآخر، والدعوة إلى إلغائه، واستخدام لغة التشدد والتزمت»، كيف تفسر شريط هاشم السلمان الذي تهجّم فيه – في ندوة مغلقة بين مريديه – على الشيخ الدكتور سلمان العودة واتّهمه**

بأنه من العلماء المتشددين، وتهجّم على المجتمع السنّي بعمومه. إذاً من يمارس الحديث بلغتين؟ إضافة إلى قول البعض أن الصفار والسلمان وجهان لعملة واحدة.

من الخطأ حينما يكون هناك حديث لشخص أن يعمم على الشيعة، أما اتهامهم لي فهذا من ضمن التهريج الذي لا أصل له.

وبالنسبة لشريط السيد هاشم تحدثت معه حوله، وفهمت أن شريطه لم يكن يتضمّن شيئاً سيئاً، كان يدعو جمهوره لمراعاة الآخرين، ولاحترام الرأي الآخر، ولكنه حينما تحدث عن اللقاء الوطني تحدث بعفوية، يعني قد تكون بعض عباراته غير موفقة أو غير سليمة في هذا الاتجاه، وهو قد تراجع عنها.

ولكن هناك من تحدث في قنوات فضائية وأصدر حكماً بتكفير أغلبية الشيعة، ومع ذلك لا نقول: هذا رأي السنة.

في رأيي أن ما حصل في اللقاء الوطني مكسب، ولا يصح لنا أن نضيّعه بسبب خطأ شخصٍ أو تطرّف آخر. وإنما نعالج هذه الإشكاليات بحدودها، ونواصل مسيرة الانفتاح والتعاون. وأنا أعتقد أنه ينبغي وخاصة للمشاركين في الحوار أن تكون لغتهم لغة وحدوية، وأن يوصلوا رسالة الحوار إلى جماهيرهم، كل شخص سنياً كان أو شيعياً يتجاوز هذا الإطار فأنا أعتبره مخطئاً. سواء كنت أنا أو هاشم السلمان أو كان الشيخ سلمان العودة أو الدكتور عائض القرني. أنا أعتقد بأن تجاوز هذا الشيء يعتبر خطأ وليس في مصلحة الدين ولا مصلحة الوطن وليس من الأمانة للحوار وللتوصيات التي اتفقنا عليها.

التقيت مع الشيخ ابن باز واللحيدان لتوضيح صورة الشيعة وكان تفاعلهما معي طيباً

- **في حوارك مع مجلة المواقف البحرينية - عدد 1266 بتاريخ 17 سبتمبر 2001م - أشرتَ إلى أنك اجتمعت مع سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - وأيضاً مع الشيخ صالح اللحيدان (رئيس مجلس القضاء الأعلى)، ألا تعتقد أنكم كمراجع شيعية مصابون بازدواجية، تارة تقولون: إنّ المؤسسة الدينية الرسمية هي السبب فيما حصل لكم، وتارة تحاورونهم، كيف إذاً نفهمكم؟**

هذا ليس ازدواجاً وإنما هذا سعي، أنت حينما ترى أن شخصاً لا يفهمك فتذهب إليه وتتحاور معه وتقترب منه لكي توضح له الصورة هذا ليس ازدواجية، هذا سعي لإصلاح الموقف. هؤلاء جلسنا معهم وكان جلوسنا معهم بهدف توضيح صورتنا أمامهم؛ لأننا نعتقد بأن بعض الانطباعات الخاطئة عن الشيعة ناتجة عن تصور خاطئ، فالحكم على شيء فرع لتصوره فلقاءاتنا معهم كانت تستهدف توضيح الصورة حتى يكون الانطباع ويكون الموقف لديهم أفضل بعد أن تتوضح لهم الصورة.

- **بماذا خرجتم من هذه اللقاءات؟**

مسؤوليتي أن أوضح الصورة وأن أسعى للطرف الآخر وأبين له واقعي وحقيقتي. أما ماذا بعد ذلك فمسؤوليته هو.

- **وضح لي كيف وجدتم تفاعلهم معكم؟**

كان طيباً جداً.. التفاعل معنا أثناء اللقاء كان تفاعلاً طيباً، وقد أخبروا الجهات الأخرى خاصةً الجهات المسؤولة. أنا سمعت بعض المسؤولين في الحكومة يقولون: إنهم وصلتهم انطباعات جيدة عن اللقاء الذي دار مع الشيخ بن باز، ومع الشيخ اللحيدان.

- **هل كان حوارك معهما بمبادرة ذاتية منك أم بإيعاز من علماء الشيعة في المملكة؟**

لا... كانت مبادرة ذاتية مني، ولكني أيضاً حاولت أن أجس رأي ونبض بقية العلماء الموجودين في المنطقة، وليس رأيهم مخالفاً، بالعكس هم يرحبون بأي خطوة يمكن أن تساعد على التواصل وعلى التعامل.

- **يظهر أن هناك تحالفاً بين الشيعة والليبراليين، وظهر هذا التلاحم في جلسات الحوار الوطني، ويؤكد ذلك ما ذكره الشيخ هاشم السلمان في شريطه أنه حصل تحالف بين الشيعة والليبراليين ضد السلفيين، وأنهم استطاعوا من خلال هذا التحالف هزيمة التيار السلفي. ما حقيقة هذا التحالف؟ وهل أنتم فعلاً تتبنّون حرب السلفية ومحاولة القضاء عليها، وتتخذون من الحوار الوطني سبيلاً إلى ذلك؟**

إذا كان السيد السلمان قد تحدث هكذا فينبغي أن يسأل هو، أما بالنسبة لي شخصياً فلا أعرف شيئاً عن التحالف بيننا كشيعة وبين اتجاهات أخرى. أنا أعتقد أنه لا يصح لنا في الحوار الوطني أن نتحدث بلغة المنتصر والمنهزم، الانتصار إذا حصل فهو للجميع، والهزيمة إذا حصلت فعلى الجميع، إذا استطعنا أن نصل إلى نتائج وتوصيات جيدة فهذا انتصار للكل، وإذا تعثرت مسيرة الحوار الوطني فسيتضرر الجميع. ولذلك أنا لا أقبل هذه اللغة، ويجب أن نسأل من يتحدث بمثلها. أنا لن أتحدث هكذا وخطاباتي بعد الحوار الوطني منشورة ومبثوثة أيضاً وليس فيها شيء من هذا.

- **كيف تنظر للتيارات الليبرالية في المملكة؟**

أنا أرفض التعميم، كل جماعة من الجماعات فيهم ناس معتدلون ومتعقلون، وقد يكون فيهم ناس متطرفون متشددون. أنا أعرف من بين الأشخاص الذين يصنفون ضمن التيار الليبرالي أناساً متعقلين معتدلين يؤمنون بثوابت الدين، ويؤمنون بثوابت المصلحة الوطنية. والليبرالية عند هؤلاء الأشخاص لا تعني أكثر من أجواء الحريات والمشاركة

الشعبية ليس هناك مضمون عقدي يختلفون فيه مع الدين الإسلامي.

■ **كيف كان تعامل التيار السلفي معكم في جلسات الحوار الوطني؟**

أقول للإنصاف: إنّه حينما كانت تطرح أي قضية من القضايا فإنّ رموز التيار السلفي لم يكونوا ينظرون للمطروح من خلال (من يقول هذا الرأي)، وإنما كانوا يناقشونه فإن رأوه صواباً تجاوبوا معه، وإن رأوه غير ذلك أبدوا وجهة نظرهم. وهذه اللغة الصحيحة في الحوار الوطني. لم تكن هناك آراء تطرح باعتبارها رأي فلان أو رأي التيار الفلاني وإنما الآراء طرحت باعتبارها توخياً للمصلحة وتوخياً للصواب.

■ **كأنك تريد أن تفهمني بأنّ مسيرة الحوار كانت مفروشة بالورود الحمراء، نحن نعلم يقيناً غير ذلك.**

في اللقاء الأول حصلت بعض التشنجات لكن أمكن تجاوزها، وبالتالي انتهى اللقاء في حالة ودية، وبتوافق على توصيات ونتائج معينة. وحينما نتحدث عن اللقاء بشكل إيجابي فإنما نقصد ما آل إليه اللقاء من نتائج وتوصيات متفق عليها بحضور ولي العهد. وقد أعرب كثيرون من مختلف التيارات عن ارتياحهم للقاء، وعن تغير انطباعاتهم اتجاه بعضهم البعض أمام ولي العهد بجلسة خاصة بينه وبين المحاورين. اللقاءات الثنائية كانت أيضاً لقاءات ودية غير متشنجة هذا بالنسبة للقاء الأول. في اللقاء الثاني حصلت أيضاً بعض المواقف المتشددة، لكنّها لم تكن من منطلق المذهب والطائفة، وإنما كانت حول عدة قضايا مختلفة، وقد تمّ تجاوز الخلاف واعتذرت الأطراف من بعضها.

■ **هل طرحتم مشروعاتكم بكل أريحية؟**

ما طرحنا مشروعات خاصة أبداً. كان الحديث في القضايا العامة، وحينما تطرح قضية لها ارتباط بأوضاعنا كنا نطرح وجهة نظرنا فيها، وكان التعامل من قبل الأكثرية تعاملاً إيجابياً، وكان هناك من لا يتفهم المنطق الذي طرحناه أو ينطلق من خلفية معينة عن الشيعة، ومن حق

كل إنسان أن يكون له رأيه تأييداً أو مخالفةً أو تحفّظاً.

- **الدولة السعودية قامت على منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله، وعلماء الشيعة يرون أنهم مُقْصَون بسبب هذا الفكر، فكيف ستحلّ هذه الإشكالية؟**

نحن ليست لدينا مشكلة مع منهج محمد بن عبد الوهاب، مشكلتنا مع مفردة واحدةٍ من مفردات الممارسة لهذا المنهج، وهي مفردة إقصاء الآخر وإلغاؤه. وعندي قناعةٌ تامّةٌ أنّه من الخطأ المحض الربط العضويّ بين منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإقصائيّة. أنا أقول: بإمكان منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يتجاوزا هذه الإشكالية، كل التيارات كل المذاهب كل التوجهات يكون فيها تطوير، يكون فيها معالجة، يكون فيها تلاشي لبعض الثغرات والسلبيات وأنا متفائل أن هذا ممكن.

- **لماذا بدأتم في الآونة الأخيرة - وعبر الحوار الوطني خاصة - في الإعلان عن أنفسكم ووجودكم ومطالبكم بلهجة مختلفة عن السابق؟ هل أصبح الوجود الأمريكي بوابة التمكين للوجود الشيعي؟ بعض المحللين يقول ما نصه : «الشأن العراقي تحول إلى حدث عالمي، فقد تعولم كل ما يمت إليه بصلة وخاصة الشأن الشيعي، ووصلت تداعياته إلى الداخل السعودي، فأصبح شيعة السعودية أكثر جرأة في طرح مطالبهم ومشاكلهم على الملأ، وأكثر إدراكاً بأن سقف ما يسمى بقوات التحالف يغطي سقف المنطقة العربية برمتها لا السقف العراقي فحسب».**

أنا أدعو من يطرح لكم مثل هذا التساؤل إلى أن يقرأ الكتابات الشيعية والمطالب الشيعية من قبل نصف قرن من الزمن إلى الآن ليرى: هل المطالب الشيعية ارتفع سقفها الآن أو أنها لا تزال تدور في نفس المكان.

ثَمَّ وثائق تاريخية هي عبارة عن مقالات ورسائل قدمت للحكومة السعودية منذ سنوات طويلة، ومن يطلع على هذه الأمور سيرى أن المطالب الشيعية لم تتغير، ولم تتجاوز مسألة معالجة قضايا التمييز الطائفي، بل بالعكس أنا أعتقد بأن سقف المطالب الشيعية الآن أصبح أكثر اعتدالاً مما كان عليه قبل 25 سنة وبإمكانكم أن تقارنوا بين أدبياتنا في ذلك الوقت يوم كنا في المعارضة وأدبياتنا الآن.

مطالب الشيعة واضحة ليست جديدة، ولا ترتبط بانتصار الثورة الإسلامية في إيران، ولا ترتبط بالوضع العراقي. لكن من الموضوعية نقول: إن الأحداث السياسية تترك انعكاساتها، ليس على الشيعة فقط، بل على الجميع، وأستغرب من التركيز على الشيعة، كل المواطنين وكل المسلمين يشعرون بأنه يوجد تطور عالمي تطور إقليمي.

- **في 21 نوفمبر 2003م - في حواركم مع موقع إيلاف - تعرضت في جوابك على مسألة سب الصحابة وتكفيرهم وقلت : «ليس شرطاً لحسن العلاقة بين السنة والشيعة أن يتنازل كل طرف عن رأيه وقناعته» هناك إجماع عند أهل السنة أن سب وتكفير الصحابة هو كفر بحد ذاته، فكيف تريدنا أن نقيم حواراً وطنياً هل هناك تكييفٌ لهذا الأمر؟**

أنا أعتقد أن هذه حجة زائفة بدليل أن الجمهورية الإسلامية في إيران لها الآن أكثر من ربع قرن من الزمن ولم نسمع سب للصحابة أو تكفيرهم، هذه إذاعتهم وهذه فضائياتهم وهذه خطب الجمعة لهم تبث منذ أكثر من 25 سنة على الهواء مباشرةً ليس فيها شيء من هذا. حزب الله في لبنان سمعتم كلامهم وإعلامهم ومواقفهم وخطابات قياداتهم ليس فيها شيء من هذا القبيل. هذه الأطراف الرافضة للشيعة هل تغير موقفها نحو حزب الله ونحو الجمهورية الإسلامية بإيران؟ هذا دليل على أن المشكلة ليست مشكلة السب والشتم وإنما هي مشكلة

أخرى، المشكلة الأخرى هي رفض الأطراف الأخرى، الذين له عندهم هذا التفسير ومن خالف هذا التفسير فهو كافر أو مبتدع.

- **كيف تقول لي: إنّها ليست مشكلة. هي مشكلة لها أبعادها العقدية لدينا نحن السنة، وماذا عن الأشرطة التي نسمعها أو الكتب التي نحصل عليها وفيها الشتم والسب للصحابة الأطهار. هل هذه كتب أو أشرطة مزورة؟**

أنا أقول أن هذه ليست المشكلة؛ لأن الشيعة عملياً لا يمارسون سب الصحابة ولا تكفيرهم، أما بشأن ما ذكرت فهذه الكتب المنشورة كلها كتبٌ قديمة. انظر إلى الممارسة العملية وإلى واقع الشيعة الآن، ليس واقعهم سرياً، انظر إلى شيعة البحرين ولبنان. بل انظر إلى شيعة العراق وهم يعيشون انفلاتاً سياسياً وأمنياً هل سمعتم منهم سباً للصحابة؟

- **قد يكون ذلك في محاضنكم التربوية الخاصة بكم؟**

لا تحاسبني على ما (قد) يكون، حاسبني على ما هو كائنٌ وظاهرٌ. السب والشتم أصبح ممارسةً قديمةً؛ لأن الشيعة كان لديهم بعض ردود الأفعال في مراحل سابقة، ولكنهم اليوم لا يمارسون سباً ولا شتماً. ما هو المطلوبُ أكثر من هذا؟

الشيعة عملاً لا يمارسون سب الصحابة ولا تكفيرهم، أما ما ذُكِرَ في الكتب فهذه الكتب المنشورة كلها كتبٌ قديمة

- **وماذا عن موقفكم من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما؟**

للشيعة موقفٌ واضحٌ من مسألة الإمامة، يعتقدون أن الإمامة من حقّ علي كرم الله وجهه بنص حديث رسول الله ﷺ . ولكنهم يرون أيضاً أن علياً رضي الله عنه بايع الشيخين وبايع عثمان وعمل تحت ظل خلافتهم، وبالتالي فلا ينبغي أن يساء لهم، وأنا شخصياً

قلت: إن هذا حرام. وليس مطلوباً من الشيعة أكثر من هذا.

إذن نحن لنا قناعاتنا حول الإمامة والخلافة والخلفاء، وليس من حق أي جهة أن تحاكم الأخرى على قناعاتها ومعتقداتها، ما يحق فقط هو عدم الإساءة. يحق للسنة ألا يقبلوا من الشيعة الإساءة إلى رموزهم، أما رؤية الشيعة الداخلية وقناعاتهم فليس من حق أحد أن يحاسبهم عليها.

أعود إلى مسألة الأشرطة التي أشرت إليها وقلت: إن فيها سباً للصحابة. العاقل عندما يسمع شريطاً لا يسمح لنفسه أن يعمّم على مجتمع كبير قبل أن يتبين. هل يصح للشيعي أن يعمم رأي شخص سني قد يكون خاطئاً ويقول هذا هو رأي السنة؟

أنت تسمع خطاب السيد حسن نصر الله -أمين عام حزب الله- طيب لماذا لا تحكم على الشيعة من خلال خطاب السيد حسن نصر الله وتحكم عليه من خلال شخص أنت لا تعرفه؟

- **ربّما كنتم تتعمّدون إخفاءَ هذا، فلا ينطق به رموزكم وأعلامكم.**

دع عنك هذا. أنت تسمع الآن خطابين خطاب شيعي متعقل هو خطاب السيد حسن نصر الله وهو شخص معروف وله وضعه، وإذا كان ثمّت أحد يعبر عن الشيعة ويمثّلهم فهم السيد حسن نصر الله والسيد الخامنئي والسيد السيستاني وهو الأكثر تعبيراً، وكذلك المراجع البارزون للشيعة. هؤلاء هم من يمكن أن تعتبر رأيهم رأي الشيعة. فكيف تسمح لنفسك أن تغفل خطابَ هؤلاء وطروحاتهم وتدندن على شريط لرجل مجهول وتعتبر أنّه يمثل رؤية الشيعة؟ هذا الذي يتحدث ليس مرجعاً وليس له أتباع وليس له تأثير.

ولو نحن طبّقنا هذه المسألة لاعتبرنا السنّة كلهم تكفيريين إرهابيين بناء على خطاب الظواهريّ وأشباهه. عندما تقول أمريكا: إن السلفيين إرهابيون احتجاجاً بمقالات الظواهري وأسامة وأبي قتادة فإنكم تقولون:

هؤلاء ليسوا مرجعيّاتنا ولا يمثلوننا. نحن نقول مثل ذلك.

- **إذا كان الشيعة يبحثون - كما تقولون - عن تهيئة الجو المناسب في تعميق حوارهم الوطني مع أهل السنة، فما هي طبيعة العلاقة بينكم وبين المذهب السني في المنطقة الشرقية؟وهل هناك شواهد من الواقع في هذا المضمار.**

في المنطقة الشرقية يؤرخ لهذه العلاقة بحقبتين حقبة سابقة كانت العلاقة فيها جداً طيبة، فقد كان بعض العلماء السنة من دارين يدرسون عند بعض علماء الشيعة (ودارين ضمن جزيرة تاروت بالمنطقة الشرقية). الشيخ علي الخنيزي كان قاضياً للسنة والشيعة معاً، وإلى الآن لو سألت الإخوة السنة في منطقة عنك (منطقة ذات غالبية سنية بمحافظة القطيف) لأخبروك كيف كانوا عندما يذهبون إلى البادية يتركون أموالهم وصكوكهم ووثائقهم أمانة عند أبناء الشيعة في القطيف. هذه حقبة.

الحقبة الثانية حينما انتشرت بعض الآراء المتشددة التعبوية ضد الشيعة ونسبت إليهم مختلف الاتهامات، وبدأت تدعو إلى مفارقة أهل البدع وإلى هجر المبتدعين والابتعاد عن الشيعة وإلى كذا وإلى كذا هذه الثقافة بدأت تربي جيلاً يتباعد ويقاطع الشيعة، ولا يتواصل مع الشيعة، ونحن الآن نعيش هذه المشكلة، ولكن هناك بشائر في إمكانية التجاوز لها حيث بدأ نوع من التواصل ونوع من إعادة التلاحم بين السنة والشيعة. طبعاً هناك فارق بين الأحساء والقطيف، في الأحساء العلاقات لا تزال أفضل مما هي عليه في القطيف؛ لأنها مناطق مشتركة وهناك تداخل بين السنة والشيعة في الأحساء، وقد أخبرني عدد من أدباء وشخصيات السنة في الأحساء بأنهم قد تعلموا القرآن وتعلموا القراءة والكتابة في بيوت المعلمات الشيعيات خاصة وأن أتباع المذاهب السنية في المنطقة الشرقية أغلبهم كانوا من المذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنفي وهناك أيضاً من الحنابلة

هذه المذاهب الثلاثة لم يكن في وسطها تيار متشدد تجاه العلاقات بالشيعة ولذلك العلاقة أفضل.

- **في مؤتمر مكة الثاني للحوار الوطني اجتمعت مع الشيخ سلمان العودة في غرفته وتحادثت معه حول خلافات السنة والشيعة، بماذا خرجتم من خلال هذا اللقاء؟**

لم يتمخض عنه نتائج عملية وإنما كان الهدف من اللقاء توضيح الصورة أكثر وتبادل الرأي أكثر وتجديد العزم على التواصل وعلى التقارب وعلى التوحد وهذا ما دار في اللقاء.

- **لكن الشيخ سلمان ذكر في حواره مع قناة الجزيرة أنه تحدث معك بشأن الخلافات العقدية في الأصول؟**

صحيح، وأعترف بأنّ هناك خلافات في بعض التفاصيل العقدية في الأصول، ولكنني تحدثت معه كذلك عن مواضع الاتفاق العقديّ: توحيد الله والنبوة والمعاد هذه أصول غير مختلف فيها، لكن هناك بعض الخلاف في بعض التفاصيل العقدية، هذه الخلافات موجودة وقائمة، ونحن ندع كل طرف يطّلع على وجهة نظر الطرف الآخر، ولا نعتقد أن اللقاء مشروط بالتوافق في الرأي في هذه الأمور العقدية، ولكنّ هناك مصالح مشتركة، فنحن مواطنون نعيش في بلد واحد وهناك الكثير من القضايا التي يمكن أن نتعاون عليها.

- **في مقالتك في الشرق الأوسط تحت عنوان "نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة" بتاريخ 22 فبراير 2004م ذكرت أنّ البؤر الساخنة على خط الخلاف السني الشيعي أربكت هذه المسيرة، وأضعفت حركتها، وفي طليعة هذه البؤر: التشنج القائم بين السلفيين والشيعة. لماذا تحاول جعل خلافكم محصوراً مع السلفيين؟ تيار أهل السنة لا يقتصر فقط على السلفيين، وكلهم يختلفون معكم.**

قلت في مقالتي إن البؤر المتشنجة حالياً هي بين الشيعة والسلفية فقط، صحيح أن هناك خلافاً مع بعض السنة لكنّه خلافٌ غير متشنج. في لبنان على سبيل المثال لا توجد بين السنة والشيعة مشكلة متشنجة، انظر إلى علاقة السنة في البحرين مع الشيعة، وانظر كذلك إلى الهند وغيرها من البلدان.

الحالة المتشنجة هي القائمة بين السلفيين والشيعة وأنا ذكرتها في معرض الحديث عن معالجة وليس في معرض إدانة لطرفٍ ما. هذا واقع موجود علينا أن نعالجه.

- **لا أعرف حتى الآن كيف نقيم حواراً وطنياً، وهناك تنوع عقدي خطير يوضحه الأستاذ عبد العزيز الخميس حين يقول: «هناك تيار سلفي لديه إيمان بخروج الشيعة عن السنة، ملتزم بطاعة ولي الأمر التي تتعارض مع المبادئ الشيعية الثورية التي تؤمن بالإمام الغائب لا الحاضر الحاكم» وهذا قد يكون سبباً رئيساً في المشكلة الوطنية. ما هو تعقيبك على ذلك؟**

أنا لا أرى أن هناك تعارضاً، والاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر وأنه سيخرج في آخر الزمان ليست عقيدة شيعية، الشيخ ابن باز له كلام واضح حول الموضوع ينصّ فيه (على أن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالإمام المهدي، وأنه من سبط رسول الله، وأنه من بيت فاطمة وأنه سيخرج في آخر الزمان) «يشير الشيخ الصفار إلى كلام الشيخ ابن باز في هذه النقطة».

أما قبل خروج الإمام المهدي السنة والشيعة متفقون على أنه لا بد من إمامة تسير أمورهم؛ إذْ لا يمكن أن يعيش الناس في فوضى إلى أن يظهر الإمام المهدي، والحكومة التي تسير أمور الناس وتكون برضا من الناس اتباعها وطاعتها مطلوب وواجب عند السنة والشيعة، ولا أرى أن الشيعة يختلفون عن السنة في هذا الأمر.

أما مسألة الخروج والثورة فهذه أيضاً ليست حالة شيعية خاصة، نحن نجد الآن كثيراً من الجماعات الإسلامية والفئات الإسلامية السنية تخالف حكوماتها. المعارضة الموجودة في مصر أو الخروج على الحكومة في مصر أو في الجزائر أو في تونس هؤلاء ليسوا من الشيعة، هم من السنة فهي ليست مسألة مقصورة عند الشيعة.

التعامل مع الحاكم عند الاختلاف معه فيه رأيان رأيٌ بالصبر والسكوت وهذا موجود عند السنة، ويرى كثير من علماء الشيعة التقليديين عدم المعارضة والخروج قبل خروج المهدي، ورأيٌ آخر يدعو إلى المعارضة والثورة وهذا موجود عند بعض الأوساط السنية وموجود كذلك عند الشيعة الخ.... ضَعْفُ الإطلاع هو الذي يصور المسألة وكأنها خصوصية مذهبية بين السنة والشيعة.

- **ما حقيقة صراع الأجيال بين المرجعيات الشيعية في السعودية؟ وهل لذلك أثر على موقف الحوار الوطني.**

لا توجد مرجعيات داخل السعودية، المرجعيات بالاصطلاح الشيعي خارج المملكة. أما المرجعيات المحلية فنحن نسميها (علماء وكلاء للمراجع)، وهذه موجودة في السعودية وفي كل المجتمعات. ما ألحظه أنّه ليس لدينا صراع بين العلماء الكبار وبين العلماء الشباب، هناك اختلاف في الطروحات وهذه حالة طبيعية، فكل جيل له الجو الذي عاش فيه والبيئة التي تفاعل معها، ولكننا لسنا في حالة صراع، لا يوجد الآن صراعات أجيال داخل علماء الشيعة في المملكة.

- **كيف يمكننا أن نوفق بين تصريحات علماء الشيعة الآن: أنهم يؤمنون بالقرآن الموجود الآن في أيدي المسلمين، وأنه لا يوجد قرآن غيره لا عند صاحب الزمان "المهدي" ولا مصحف فاطمة ولا غيره، وبين تمسك شيعة اليوم بكتب الحديث الشيعية وكتب العقائد وكتب التفسير التي يطبعها الشيعة اليوم، وهي**

مشحونة بآلاف النصوص التي تنص على أن القرآن محرف ومبدل وزيد فيه ونقص منه، وأن هذا إجماع عندهم؟

الكلام حول صيانة القرآن وتحريف القرآن هذا الكلام يجب أن يُتَجاوز؛ لأن لعلماء الشيعة رأياً قاطعاً في هذه المسألة، والقول بتحريف القرآن رأي شاذ يعتمد على روايات غير مقبولة وغير صحيحة، والقرآن الذي يقرأ عند الشيعة هو القرآن الذي يقرأ عند السنة. أما مصحف فاطمة فهو ليس قرآناً وإنما هو تفسير لآيات القرآن كانت تسمع من أبيها صلى الله عليه وسلم فتكتبها على النسخة التي عندها. وقد تحدث الشيعة حول هذا الموضوع وأبانوا رأيهم، وقرأت كلاماً جميلاً للشيخ عبد الله المنيع حينما سئل عن هذا الموضوع فقال: يجب أن نتجاوز، ويجب أن نعترف بأن الشيعة ليس لديهم قرآنٌ غير الذي عندنا، وهو نفس الكلام الذي ذكره الشيخ القرضاوي.

أقول: ضِمْنَ التهريج يأتي مثل هذا الحديث، أما ضمن الحقيقة فالكل يعرف أن الشيعة ليس لهم قرآن، وأنّهم في حوزاتهم العلمية وأبحاثهم لا يستدلون إلا بهذا القرآن الذي بين أيدي الناس اليوم.

- **يقول نعمة الله الجزائري المرجع الشيعي الكبير: نحن لا نجتمع مع أهل السنة على إله واحد، ولا على نبي واحد ولا على إمام واحد؛ لأن الإله الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس إلهنا، ولا ذلك النبي نبينا، ولا ذلك الإمام إمامنا" وفي كتاب كشف الأسرار للخميني يقول: إننا لا نعبد إلها يقيم بناءً شامخاً للعدالة إننا نرفض العصاة والمنحرفين أمثال معاوية وعثمان في مقام الإمامة.**

بالنسبة للسؤال الأول فنعمة الله الجزائري لم يكن مرجعاً للشيعة في أي عصر من العصور، وإنما هو مجرد عالم من علمائهم كتاباته فيها الصحيح والخطأ، فيها ما يقبل وفيها ما يرفض، وهذا الكلام مرفوض عند أغلب العلماء عملاً هم يرفضونه لكن لا يعني ذلك أن

نرفض كل شيء من السيد نعمة الله الجزائري، وهو عالم فيه الخطأ وفيه الصواب يؤخذ منه ويرد عليه.

أما كتاب (كشف الأسرار) للإمام الخميني أنا ما قرأته. ولذلك الإمام الخميني رفض طباعته والجمهورية الإسلامية لا تنشره، ولا تعترف به، ولا تقبل بوجود هذا الكتاب أصلاً، ثم إن هناك منظمة رسمية لآثار الإمام الخميني وكتبه، تعتبر أن هذا الكتاب مزور ومشوه وهو في الأصل كتاب باللغة الفارسية قد كتبه الإمام الخميني في بداية شبابه، والذي ترجمه إلى اللغة العربية زوّره وشوهه، وقد كشف كاتب مصري يدعى الدكتور إبراهيم دسوقي هذا التزوير.

- **يقول الإمام الخميني في كتاب «الحكومة الإسلامية» ما نصه: «إن لأئمتنا مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن لأئمتنا حالات مع الله لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل». فما قولكم بهذا النص؟**

رأيٌ عند الإمام الخميني لا يوافقه كل العلماء عليه لكنه رأي لا يخرج عن الملة ولا يخرج عن الشريعة، مادام يعتقد أن مكانة الأئمة عطاء من الله، وليس قدرة ذاتية.

- **لم نسمع من الصفار ولا السلمان ولا غيرهم أنّهم تبرؤوا من الكتب الشيعية كالكافي وفقيه من لا يحضره الفقيه والاستبصار والتهذيب التي يطلقون عليها الصحاح الأربعة وهي مليئة بالقول ببغض أهل السنة، والتقرب إلى الله بإيذائهم، بل إنّ وصية جعفر الصادق التي افتتح بها الكليني كتاب الروضة من الكافي تنص على وجوب مخالفتهم وكرههم والتربص بهم وعدم موالاتهم، وأنه يجب على الشيعي أن يجعل هذه الوصية في مصلاه ويقرأها دبر كل صلاة فكيف نجمع بين هذا ودعوتكم للوفاق الوطني، وأنت إلى الآن لم تقل كلمة واحدة تتبرأ فيها**

من هذه الكتب التي شحنت بمثل هذه النصوص؟

نحن لا نعتبر هذه الكتب الأربعة صحاحاً، نحن نعتبرها مجرد مجاميع حديثية كل رواية من الروايات الواردة فيها قابلة للنقاش، ففيها ما يقبل سنده وفيها ما يرد سنده، ونحن لا نتبرأ من هذه الكتب ولن نتبرأ منها، نحن نتبرأ من الشيء الخطأ الذي فيها ولا نقبله، ومؤلفو هذه الكتب أشاروا إلى أنهم جمعوا هذه الأحاديث من العلماء المحدثين فنحن لا نتبرأ من هذه الكتب، وإنما نعتبرها من جملة المصادر الموجودة، فلا نقدّسها ولا نعتبرها صحاحا كما تعتبرون أنتم الصحاح، لا ليس عندنا شيء من هذا. إذنْ نحن نتعامل مع هذه الكتب الأربعة تعاملاً موضوعياً علمياً نقبل ما يقوم الدليل على صحته ونرفض ما ليس هناك دليل على صحته، وليس المطلوب أن نتبرأ من شيء.

أنا أستغرب لماذا تقحم كل مسألة من المسائل في موضوع الحوار الوطنيّ!! الاتّحاد والاتفاق بين الأطراف لا يعني التماهي وذوبان كلٍّ في الآخر، هل يشترطُ من يريد مصادقة شخصٍ أن يقوم بعمليّة تجميلية ليكون وجههُ على نحو ما يعجبُ هذا المشترطَ؟ هذا لا يمكن. ليس مطلوباً أن يتحوّل السني إلى شيعي ولا العكس، المطلوبُ أن يكفّ كلٌّ عما يؤذي الآخر.

- **كلمة أخيرة..**

أنا أدعو نفسي وأدعو إخواني المسلمين بمختلف المذاهب إلى أن يتعاون بعضهم مع بعض، وأن يقرؤوا بعضهم البعض قراءة صحيحة ليس اعتمادا على الآراء المناهضة وليس اعتمادا على التعميم، فأتباع كل مذهب ليسوا قالب واحد، هناك آراء متفاوتة داخل أبناء المذاهب، وعلى المعتدلين والمتعقلين في كل المذاهب أن يتعاطوا مع بعضهم البعض لكي يحاصروا المتشددين والمتشنجين ضمن مذاهبهم، وأشكركم على إتاحة هذه الفرصة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عنوان المؤلف

المملكة العربية السعودية – ص.ب: 1322 القطيف 31911

هاتف: 8555210 3 966+ – فاكس: 8512600 3 966+

الموقع على الإنترنت: www.saffar.org

البريد الإلكتروني: office@saffar.org



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

الجهل بالآخر والقراءة الخاطئة له هي نتاج خلل اجتماعي ثقافي. فالمجتمع السوي تعبّر فيه كل الأطراف عن نفسها، وتظهر آراءها ومواقفها بصراحة ووضوح، حين تتوفر الحرية للجميع، وتتساوى فرص التعبير عن الذات، فتتعرف الأطراف على بعضها بشكل مباشر دون وسائط وحواجز.

أما إذا سادت المجتمع أجواء غير عادلة، وعانت بعض أطرافه من التهميش والتمييز، فستجد نفسها مضطرة إلى الانكفاء والانطواء، مما يفسح المجال لتشويه صورتها من قبل الأطراف ذات المصلحة في تغييبها وتهميشها.

وعلى الصعيد الثقافي فان الثقافة السويّة تدفع نحو الانفتاح على الآخر، والمعرفة الموضوعية له، والتفاعل معه أخذاً وعطاءً، واحترام خصوصياته.

بينما ترفض التوجهات الثقافية التعصبية الاعتراف بالآخر، وتحظر التواصل معه، والانفتاح عليه، وتعمم عنه صورة نمطية مشوهة.

ولأن معظم مجتمعاتنا تعاني من هذا الخلل الاجتماعي الثقافي فإنها تعيش أزمة في المعرفة المتبادلة بين الأجزاء المكونة لوجودها الاجتماعي والوطني.

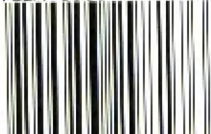
فقد تجد من يضمهم وطن واحد، أو تجمعهم لغة واحدة، أو ينتمون إلى دين واحد، إذ يتنوعون في توجهاتهم ضمن الإطار المشترك، يعيشون حالة من التباعد والجهل ببعضهم بعضا، فترتسم عند كل طرف صورة غير صحيحة عن الطرف الآخر.

إن الجهل بالآخر والخطأ في قراءته يشكل ظلماً للذات والآخر، حيث يحرم الإنسان نفسه من معرفة الحقيقة ويضللها عن إدراك الواقع، مما يمنعه من التفاعل الإيجابي مع الآخرين.

كما أن ذلك ظلم للآخر بإساءة الظن فيه، وبخسه حقه، وقد يؤسس للحيف والعدوان عليه.



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb
عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم،
ص.ب: 13-5574 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان
هاتف: 786233 - 785107 - 785108 (+961-1)
فاكس: 786230 (+961-1)



ISBN 9953-29-817-3